

Acc.

148840



BIRZEIT UNIVERSITY

الاتحاد الأوروبي وحوض المتوسط:

الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي 1994-2000

The European Union and the Mediterranean:
The Palestinian-Israeli Conflict 1994-2000

Thesis

DS

63.2

.E8

S87

2004

إعداد

عماد زهدي محمد الصوص

إشراف: د. هلغى باومغرتن



Barcode = 4235

شباط 2004

أصدرت في
القدس
2004/5/2

الاتحاد الأوروبي وحوض المتوسط: الصراع الفلسطيني-
الإسرائيلي 1994-2000

*The European Union and the Mediterranean:
The Palestinian-Israeli Conflict 1994-2000*

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب:

عماد زهدي محمد الصوص

تاريخ المناقشة

24 شباط 2004

لجنة المناقشة

د. هلغى باومغرتن (رئيساً)

د. جوني عاصي (عضواً)

د. سمير عوض (عضواً)

"قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الدولية من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت - فلسطين".

إهداء

To my mother

إلى أمي

المقدمة:	x
----------	---

تعريف المصطلحات	xviii
-----------------	-------

الفصل الأول

محددات الدور الأوروبي تجاه حوض المتوسط

مدخل نظري	2
تمهيد	11
الشرق الأوسط والنظام الدولي	13
التوجه نحو الإقليمية	15
الشراكة الأوروبية-المتوسطية (إعلان برشلونة)	16
التغيير على المستوى الدولي والفرعي	18
الأسباب الكافية و الضرورية لعقد مؤتمر برشلونة	20
البحث عن دور إقليمي أكبر	24
خلق توجه أوروبي متكامل نحو المتوسط	25
محددات الشراكة الأوروبية-المتوسطية (إعلان برشلونة):	30
البعد الإقليمي	32
البعد الاقتصادي	35
إقامة منطقة تجارة حرة	38
البعد الأمني والسياسي	40
الواقع الأمني في الشرق الأوسط	42
سباق التسلح	43
الهجرة و الأصولية	45
الأمن و عملية "السلام"	46
خلاصة	49

(الفصل الثاني)

الدور الأوروبي و الصراع في الشرق الأوسط

52	تمهيد:
55	الصراع الفلسطيني الإسرائيلي والمنحى الإقليمي:
56	الاتحاد الأوروبي والصراع الفلسطيني - الإسرائيلي
58	المفاوضات المتعددة الأطراف
60	المسار الفلسطيني الإسرائيلي والمفاوضات المتعددة الأطراف
62	الدور الاقتصادي تجاه المناطق الفلسطينية:
64	الدعم المادي والاقتصادي
67	دعم المؤسسات والسلطة الفلسطينية
69	الاقتصاد الفلسطيني وإسرائيل
73	الدعم للمجتمع المدني والعملية الديمقراطية
73	المنظمات غير الحكومية
77	المشاركة الشعبية
80	الدور السياسي الأوروبي:
81	المواقف الأوروبية والصراع الفلسطيني الإسرائيلي
83	سياسة البيانات الأوروبية
85	امن وبناء إسرائيل
86	التحرك باتجاه إقامة دولة فلسطينية
89	الاتحاد الأوروبي بين تسوية الصراع والاستقرار الإقليمي:
93	خلاصة

المحتوى

96	مدخل نظري
103	التحالف مع إسرائيل:
105	تمهيد:
109	واقعية أوروبا:
110	"التيارات الثلاثة" داخل الاتحاد الأوروبي:
111	السيادة الوطنية
113	السياسة الخارجية والأمنية المشتركة (CFSP):
119	الهيمنة الأمريكية:
121	اختلاف المصالح:
126	الانزعاج الأمريكي من أي دور أوروبي فعال:
130	التحالف وأهمية إسرائيل:
133	الرفض الإسرائيلي:
134	التقارب الإسرائيلي - الأمريكي تجاه الدور الأوروبي:
136	اللوبي الموالي لإسرائيل:
137	التباعد الإسرائيلي الأوروبي:
145	خلاصة:
147	الخاتمة:
152	المراجع:

Abstract

The signing of the Declaration of Principles in the garden of the White House in Washington paradoxically led the Arab region in general and the Palestinians and the Israelis in particular into a new era of conflict called "peace process". Not only the Palestinians and the Israelis care or are concerned about the new stage, but other players as well. This study focuses on Europe, more precisely Western Europe, which simultaneously with the "peace process" entered a new era of integration within the European Union. Many looked at the European Union as a new power which would or could affect the course of events in the Arab region as a whole.

It is well known that Europe has always been affected by the course of events in the wider Arab and the smaller Mediterranean region, but especially by the Arab-Israeli conflict. Therefore, it has always tried to achieve or maintain stability in the region. In the last decade of the twentieth century it was trying hard to maintain peace to reach a comprehensive settlement between the conflict parties.

The topic of this thesis is the role of the European Union toward the region as a whole and toward the Palestinians and the Israelis as central actors in the region in the period between 1994 and 2000, i.e. between the establishment of the Palestinian Authority and the collapse of the Oslo process during the Camp David II conference in summer 2000.

This study is divided into three chapters. The first chapter deals with the aims and the objectives of the EU in the Mediterranean. After the collapse of dual polarity the European Union looks at regional relations as a major issue. Also, it emphasizes above all the political fields of economy and approaches it in a cooperative way.

The region dealt with in this thesis is the Mediterranean basin. Its southern and eastern areas could well be considered a threat to Europe. This perception of a possible threat is the starting-point of this study when it tries to

shed light on the Palestinian-Israeli conflict as one of the factors that cause instability in the region. The European Union has its own aims and objectives to be achieved through its efforts towards the Mediterranean basin, and it looks at any conflict as a threat to regional stability, especially the Arab-Israeli conflict in general and the Palestinian-Israeli conflict in particular. Also, the EU starts from the conviction, that any conflict should and could be solved through a political settlement and through cooperation.

This first chapter leads directly to the major question dealt with in chapter two: What are the particular characteristics of the European role toward the "peace process"? The European Union from the very beginning of the peace process supported the two parties, i.e. the PLO and the State of Israel. It made many investments in Israel, while it also supported hundreds of NGOs in the Palestinian territories, in addition to paying again and again the entire salaries to the employees of the Palestinian Authority. Both these chapters are based on the liberal respectively neo-liberal theory.

These two chapters clearly showed that the EU did not respectively could not play the political role required to be played in order to achieve its objectives. This became most obvious with the Palestinian uprising (Al-Aqsa Intifada) which started on September 28, 2000. Many reasons and different factors do explain this development which ran counter to the plans and expectations of the EU.

From here, the central question of chapter three arises: What are the limitations of the European role in the "peace process" 1994-2000? What are the factors that impeded the EU from playing an active role to push forward the conflict - parties to reach a settlement? Is this related to internal or to external constraints or to both? Chapter three tries to answer these questions based on the realist respectively neo-realist school.

The European Union came to the region in order to play an economic role through its financial aid and its investments in Israel and in the Palestinian territories. The Europeans thought that this economic role would lead directly to democracy and peace by improving the standards of livings which in turn

would help in maintaining security. In addition, they thought that prosperity would help the two sides to recognize each other and accept each others' positions with an open mind. However, as this study showed improving standards of living and providing security might help conflict partners to advance towards peace, but they cannot be the major motor towards ending the conflict. In a conflict like the one between the Arabs and Palestinians on the one side and Israel on the other side, the political and military power and its distribution do play the major role in bringing about peace or war in the region. So, the Europeans "failed" to achieve peace in the period between 1994-2000.

The EU power is in principle an economic power. At the same time, it is not the major economic power which can use this power to achieve peace. It is rather the only remaining Superpower which supports Israel in all fields and on all levels, including the field of economy.

المقدمة:

أحدثت حقبة التسعينات مرحلة جديدة من العلاقات الدولية بين الدول، وأبرز هذه العلاقات هي العلاقات الإقليمية؛ فالعالم أصبح أكثر توجهاً نحو الاقتصاد بمفهوم الانتصار على الأيديولوجية. من هنا جاءت النظرة الأوروبية تجاه جيرانها، فالجار القوي أقل تهديداً من الجار الضعيف الذي يخلق حالة من عدم الاستقرار. هذا الإقليم التي أتحدث عنه هو إقليم حوض البحر المتوسط والذي يشمل دولاً من الاتحاد الأوروبي والتي تشعر بضرورة للتوجه نحو هذا الإقليم.

هذا الإقليم يشكل تهديداً لأوروبا وكذلك يشكل هدفاً اقتصادياً، وهذا التوجه الأوروبي يعكس مدى تداخل عالم السياسة بالاقتصاد في التوجه نحو هذا الإقليم. والسؤال الأساسي هنا، ما هي خصائص ومحددات الدور الأوروبي نحو إقليم حوض البحر المتوسط؟ وكيف أن هذه المحددات يمكن أن تحقق على أرض الواقع؟ وما هي المعوقات التي تقف في وجه هذه المحددات؟ فالاتحاد الأوروبي قد واجه تحديات معقدة ومتشابكة وقفت في وجه السعي من أجل تلاقي الرؤى والتطلعات بالواقع.

بعد غياب قصري إبان الحرب الباردة، تعود أوروبا إلى منطقة الشرق الأوسط وحوض المتوسط برويا جديدة وهي الشراكة الأوروبية - المتوسطية. اختيرت هذه الشراكة الأوروبية المتوسطية في الفصل الأول؛ لأن هذه الشراكة تشكل أوسع وأشمل توجه أوروبي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية نحو الحوض الأبيض المتوسط. كذلك فهي جاءت، ومن خلال إعلان برشلونة، أكثر وضوحاً للتوجهات الأوروبية تجاه المنطقة

والمنطلقات التي تريد أوروبا الانطلاق منها للتعامل مع هذه المنطقة من أجل تحقيق الأهداف المرجوة أوروبياً. من خلال هذه الشراكة ينطلق سؤال الفصل الأول في هذه الدراسة وهو: ما هي محددات الدور الأوروبي متمثلاً بالاتحاد الأوروبي تجاه منطقة حوض المتوسط؟

من هذا السؤال ينطلق هذا الفصل للتعرف على هذه المحددات من خلال نظريات العلاقات الدولية كالليبرالية والمؤسساتية والليبرالية الجديدة. هذه النظريات نحتاجها للفهم الأكثر نفعاً تجاه العلاقات الخارجية بين الفاعلين الدوليين، فهي تربط بين عالم السياسة المجرد وعالم السياسة الحقيقي على أرض الواقع. الاتحاد الأوروبي، ومن وجهة نظر هذه الدراسة، يمكن فهمه من خلال هذه النظريات؛ لأنها تعكس توجهه العام على الأقل تجاه المناطق المجاورة.

يمكن للباحث أن يستخدم نظريات أخرى لدراسة التوجه الأوروبي كالنظرية العالمية أو الإمبريالية (الجديدة)، من خلال تدعيم فكرته بأن الاتحاد الأوروبي هو يأتي بسياسة لا تختلف عن سياقه التاريخي في المنطقة، ولكن بطريقة أخرى من أجل أن يعزز اقتصاده ومنافعه إلى أقصى درجة ولو على حساب الآخرين وزيادة الفقير فقراً. قد يأخذ هذا الكلام مكانه في المستقبل. فبسبب التداخل الهائل والمعقد للعلاقات الداخلية والإقليمية والدولية في الشرق الأوسط، يمكن لأي باحث من إثبات فكرته من خلال توجهات ونقاط انطلاق معينة من أجل أن يثبت آراءه. فالعلاقات في الشرق الأوسط متقلبة وغير ثابتة مما يزيد من النزعة التنبئية تجاه الكثير من الكتاب وفي أحيان كثيرة متشائمة وخاصة من

جانب بعض الكتاب العرب، وهذا يمكن تبريره من خلال مسيرة التاريخ الحديث للقوى العظمى في الشرق الأوسط، وكذلك يخدم هذا التوجه الضعف العربي والتفكك التي تعيشه الدول العربية الناتج عن علاقات داخلية وإقليمية وكذلك دولية. لكن لم يكن هذا يعكس التوجه الأوروبي على الأقل خلال عام 1994 حتى عام 2000 وهي الفترة الزمنية التي تدور من خلالها هذه الدراسة.

تبدأ هذه الدراسة بعام 1994، وهذا لأنه العام الذي بدأ فيه تنفيذ اتفاقات أوسلو ومجيء السلطة الفلسطينية. لكن السؤال هنا: لماذا لم تشمل هذه الدراسة أعوام انتفاضة الأقصى؟ الانتفاضة تعكس نكسة للدور والجهود الأوروبية في السعي لتحقيق السلام. كما أنه في نهاية العام الأول للانتفاضة كان هناك حادثة وهي هجمات 11 أيلول على مبنيي التجارة العالمية ومبنى وزارة الدفاع الأمريكية. فهذه الحادثة غيرت مجرى الأحداث في إدارة الصراع الدولي، وهنا سندخل في تفاصيل و أحداث تحتاج إلى دراسة أخرى.

فالاتحاد الأوروبي يتظاهر بأن عدو الغد يمكن أن يصبح شريكاً، وهذا عكس ما يقوله الواقعيون بنظرتهم المتشائمة بأن صديق اليوم يمكن أن يصبح عدو الغد، لذلك الشراكة والتعاون لا تأخذان مكانهما في الواقعية كما تأخذان دوريهما في سياسة الاتحاد الأوروبي الحالية، فهذا الشكل من التوجه الأوروبي الإقليمي في طبيعته وخطاباته يرى بأنه يمكن للأعداء السابقين في الشرق الأوسط أن يتكيفوا مع ما يصبو إليه الاتحاد الأوروبي.

الاتحاد الأوروبي تهمة منطقة حوض المتوسط التي تشكل الفناء الخلفي لدوله المتوسطية. لذلك فهو يشعر بالتهديد من عدم الاستقرار الذي يعيشه حوض المتوسط. كذلك يريد التوجه إلى هذه المنطقة التي تهمة؛ من أجل عدم التأثير السلبي لهذه المنطقة على دوله، لكن لماذا توجهت أوروبا في هذه الفترة أي في عام 1995 لخلق شراكة أوروبية-متوسطية، ولمَ لم تطلق هذه الشراكة قبل ذلك؟ هذا بسبب المنطق الاستراتيجي الذي فرضته الحرب الباردة وحدثت من دور أوروبي فعال تجاه المنطقة، لكن مع انهيار جدار برلين أصبح الاتحاد يريد التوازن في توجهه نحو شرقه وجنوبه رغم الاختلاف في التطلعات المستقبلية لكل منها بالنسبة للاتحاد الأوروبي. من ناحية أخرى فقد أطلقت الولايات المتحدة المشروع الشرق أوسطي والذي يهدف إلى تعاون في الشرق الأوسط، حيث تكون فيه إسرائيل مركز الشرق الأوسط ويكون علته التطبيع. ولذلك ما لبثت أوروبا أن قامت بمبادرة تكون هي المركز فيها في هذه المنطقة الحيوية.

منطقة إقليم المتوسط هي منطقة تهدف أوروبا من خلال التوجه إليها تحقيق أهداف سياسية وأمنية واقتصادية تحت غطاء إقليمي أو مشروع إقليمي. من ناحية سياسية فالمنطقة ما زالت وبعد انطلاق مؤتمر مدريد محتقنة ومؤهلة لانفجار من نوع معين، فالصراعات تحيط بمنطقة المتوسط وهذا يمكن أن يعرض أوروبا للتهديد من الجنوب، فالصراع العربي الإسرائيلي مثلاً ما زال يقع في جوهر الأزمات الأمنية والسياسية طويلة الأمد في الشرق الأوسط. وكيف ترى أوروبا حل لهذا الصراع؟ أوروبا، ومن خلال بياناتها وكذلك إعلان برشلونة، تشير إلى قرارات مجلس الأمن ذات الصلة لحل الصراع

وهي أقرب للقانون الدولي في التوجه لحل الصراع. كذلك تريد أوروبا أن تحقق تعاوناً اقتصادياً يمكن بدوره أن يعزز التعاون من أجل تحقيق الاستقرار في الإقليم. من ناحية أخرى هذه المنطقة مهمة اقتصادياً لأوروبا؛ فهي تحتاج إلى موارد الطاقة من الخليج العربي ودول المتوسط الأخرى كالجزائر وليبيا. من ناحية أخرى فإن منطقة الشرق الأوسط تعتبر سوقاً كبيرة بالنسبة لأوروبا لتصدير منتجاتها.

تريد أوروبا تحقيق الثمرة الاقتصادية من خلال مشروع الشراكة وهو الوصول إلى "منطقة تجارة حرة" والتي تقع مثار جدل واسع بين الكتاب والباحثين من حيث أهدافها وإمكانية تحقيقها.

من هذا كله يمكن الانطلاق في الإجابة عن السؤال وهو ما هي محددات الدور الأوروبي تجاه إقليم البحر المتوسط؟

بعد التعامل مع هذا السؤال والإشارة إلى أهداف وتوجهات الاتحاد الأوروبي نحو منطقة إقليم البحر المتوسط، تبدأ هذه الدراسة فصلها الثاني وهو يمثل التوجه الأوروبي تجاه الإقليم، ولكن من خلال جزء صغير من صراع كبير وهو الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي. كما نعلم بأن توقيع اتفاقات أوسلو كان مرحلة تحول لكل من الفلسطينيين وإسرائيل وأوروبا. أوروبا تريد التوجه نحو إنجاح هذه الاتفاقات. لذلك يكون سؤال هذا الفصل: ما هي خصائص وطبيعة الدور الأوروبي وأهدافه تجاه الصراع في الشرق الأوسط؟ هل أوروبا تريد تحقيق سلام عادل وشامل يتناسب مع توجهاتها السياسية؟ هذه التوجهات لن تكون لأوروبا في سعيها لتحقيقه دون الوقوع في عقبات. لإنجاح هذه

الاتفاقات توجهت أوروبا إلى المناطق الفلسطينية والتي نركز عليها في هذا البحث بشكل أساسي. هذا الفصل أيضاً سيكون من خلال نظريات العلاقات الدولية المستخدمة في الفصل الأول، أي أن المدخل النظري للفصل الأول هو يشكل مدخلاً نظرياً غير متكرر للفصل الثاني. فأوروبا لها أهداف وتوجهات تريد تحقيقها من خلال توجهها نحو المناطق الفلسطينية. فهي تريد أن تأخذ مواقف سياسية وكذلك دعماً اقتصادياً من أجل تحقيق أهدافها المرجوة. الذي تستطيع التحرك باتجاه تنفيذه أوروبا هو الجانب الاقتصادي والذي يمكن اعتباره سياسياً من الدرجة الأولى لأنه يأتي لتحقيق أهداف سياسية بالأساس، ولأن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي هو سياسي بالأساس ويجب حله سياسياً وهذا ما تدركه أوروبا من خلال تحركاتها، مثل تعيين مبعوث أوروبي خاص بالعملية السلمية بين إسرائيل والفلسطينيين. لكن ما الذي ستقوم أوروبا بدعمه في المناطق الفلسطينية؟

أوروبا تريد أن تدعم السلطة الفلسطينية حتى لا تنهار هذه السلطة منذ ولادتها، وبالتالي سينعكس هذا سلباً على عملية السلام والتوجه نحو حل الصراع، فإنجاح هذه العملية يعني التوجه قدماً نحو حل الصراع مع الدول العربية الأخرى التي تحتل إسرائيل أجزاء من أراضيها. هذا الدعم للسلطة الفلسطينية هو بمثابة دعم لإقامة دولة فلسطينية من خلال تأسيس بنية تحتية لهذه الدولة المرتقبة. لكن هل أوروبا ستدعم السلطة الفلسطينية دعماً مطلقاً بحيث يتحول الوضع من احتلال إلى حكم سلطوي. هذا لن يخدم أوروبا التي تريد تحقيق مجتمع قائم على الحكم المدني والديمقراطية. لذلك أوروبا ستوجه جزءاً من هذه الأموال إلى المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية، بالإضافة إلى ذلك تريد

أوروبا تحقيق تنمية اقتصادية. هل هذه الأهداف الأوروبية تحققت؟ هذا ما سيقوم بسرده وتحليله هذا الفصل.

ماذا فعلت أوروبا من أجل دعم العملية السلمية بين الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني؟ ماذا عن مفاوضات متعددة الأطراف؟ ماذا عن التوجه الإقليمي الأوروبي تجاه الصراع كجزء من عدم الاستقرار في الإقليم؟

مثل هذه الأسئلة سيقوم الفصل الثاني بالإجابة عليها، ومن خلال العلاقة مع المناطق الفلسطينية والسياسية الإسرائيلية من إغلاقات وتأخير وحواجز.

الأهداف الأوروبية تجاه الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي لم تتحقق خلال الفترة ما بين عامي 1994 و 2000. حيث كانت نهاية عام 2000 هي بمثابة نكسة للاتحاد الأوروبي ودوره وجهوده تجاه العملية السلمية. ومما زاد الوضع تدهوراً هو استمرار الانتفاضة وتوجهها نحو مواجهات عنيفة وأفعال إسرائيلية شرسة وعمليات تفجيرية من قبل منظمات فلسطينية داخل إسرائيل. هذه الانتفاضة قد أتت على البنية التحتية الفلسطينية بالدمار والتي سعت أوروبا ولعبت دوراً كبيراً في بنائها كمطار رفح الدولي و كمبنى الإذاعة في رام الله. الموضوع هنا ليس انتفاضة الأقصى، بل الموضوع والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا لم تستطع أوروبا تحقيق أهدافها المرجوة تجاه حل الصراع؟ هذا يثير السؤال الرئيسي للفصل الثالث وهو: أن هناك حدوداً للدور الأوروبي تجاه هذا الصراع فما هي؟ هل هذه القيود داخلية، أي من أوروبا نفسها، أم خارجية؟

للإجابة عن هذه الأسئلة المتعلقة بالفصل الثالث والأخير من هذه الدراسة، أستخدم

النظرية الواقعية بشكل أساسي لتحليل وتفسير التساؤلات حول القيود التي تفرض على الاتحاد الأوروبي. هذه النظرية_ ومن وجهة نظر هذه الدراسة_ هي الأكثر ملاءمة للتعامل مع هذا الفصل لكن ليس على سبيل الحصر. فهذه النظرية تعتبر بأن الاتحاد الأوروبي ليس دولة، بل الذي يشكل النّقل هي دوله الأعضاء كلّ على حدة، وبذلك تقع قيود على هذا الاتحاد إذا لم يتفق مع الدول كلّ على حدة وهذا مستحيل في ظل اختلافات المصالح والتوجهات. فمبدأ السيادة الإقليمية والواقعية التي تعيشها أوروبا تفرض قيوداً عليها.

من ناحية أخرى، الشرق الأوسط تسيطر عليه القوة العظمى، أي الولايات المتحدة، والتي تعتبره مكان أمن قومي بالنسبة لها. كذلك الحليف الأكبر والأقوى للولايات المتحدة هو طرف في الصراع، فهل تسمح الولايات المتحدة لطرف آخر للتدخل والضغط على هذا الحليف؟ كذلك هل تسمح الولايات المتحدة لطرف آخر بتحقيق نفوذ مع دول المنطقة على حساب الولايات المتحدة؟ من ناحية أخرى، هذا الحليف_ أي إسرائيل_ هو دولة قوية ومنتصرة في حروب عدة على دول المنطقة، لذلك هل ستستغني إسرائيل عن حليفها الداعم لها في هذه الحروب ومساندها العسكري والاقتصادي من أجل تحقيق مكاسب اقتصادية من أوروبا؟ فإسرائيل تحقق أهدافها من خلال القوة العظمى، وهي تؤمّن باستمرار هذه العلاقة، وهذا من خلال اللوبي الموالي لإسرائيل المتنفذ في الولايات المتحدة ودوره الذي يلعبه لدعم مصالح إسرائيل.

مما ذكر أعلاه في هذه المقدمة القصيرة سنبدأ الدراسة بالفصل الأول وهو: ما هي محددات الدور الأوروبي تجاه منطقة حوض البحر المتوسط؟ فقبل دراسة دور وحدود أي فاعل يجب أن تحدد محدداته وأهدافه التي تجره من أجل تحقيق هذه الرؤى والأهداف.

تعريف المصطلحات:

الشرق الأوسط في هذه الدراسة يشمل منطقة حوض البحر المتوسط ومنطقة الخليج العربي وإيران. بالنسبة لمنطقة حوض البحر المتوسط فهي تقسم إلى ثلاثة أقسام، القسم الغربي: ويشمل دول المغرب العربي؛ تونس والجزائر والمغرب وليبيا وموريتانيا. ومنطقة شرق المتوسط: والتي تشمل مصر وسوريا والأردن ولبنان والسلطة الفلسطينية وإسرائيل. وشمال المتوسط: هي تركيا وقبرص ومالطا. كل دول حوض البحر المتوسط هي غير أعضاء في الاتحاد الأوروبي ولا يمكن أن تكون كذلك ما عدا دول شمال حوض المتوسط.

الشراكة الأوروبية- المتوسطية (EMP) (أو الأورومتوسطية) هي نابعة من فكرة المتوسطية، هذه التسمية مشتقة من كلمة البحر المتوسط، أي الدولة عندما تطل على البحر المتوسط تسمى دولة متوسطية. لكن هنا قد يسأل سائل بأن الأردن هي دولة غير متوسطية أي لا تطل على سواحل البحر الأبيض المتوسط لكنها عضو في الشركة الأوروبية المتوسطية، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، ليبيا دولة تطل على سواحل البحر المتوسط ولكن هي غير عضو في الشراكة الأوروبية-المتوسطية.

الرد على مثل هذه التساؤلات يأتي كالتالي: بالنسبة للأردن يمكن أن يدافع عنها من وجهة نظر عربية وكذلك أوروبية. فالأردن جزء من الصراع العربي-الإسرائيلي، وهي دولة مهمة في الصراع العربي-الإسرائيلي في منطقة شرق البحر المتوسط؛ لأنها إحدى دول الطوق المجاورة لإسرائيل. ووجود الأردن من وجهة نظر أوروبية بأنها ستلعب دوراً يسهل العلاقات مثلاً بين الفلسطينيين وإسرائيل وكذلك بين إسرائيل وسوريا ولبنان.

أما فيما يتعلق بليبيا؛ فإن ليبيا في فترة التسعينات وحتى عام 2003_ انتهت هذه العقوبات في هذا العام_ قد كانت ضمن عقوبات دولية بسبب تفجير الطائرة الأمريكية فوق لوكربي باسكتلندا. وهي متهمة بتدبير هذا التفجير، لذلك لم يُرد الاتحاد الأوروبي الدخول في مواجهة مع الولايات المتحدة وكذلك مع دول من داخل الاتحاد وخاصة بريطانيا، والدليل على ذلك أنه بعد رفع العقوبات عن ليبيا نرى زيارة لرئيس الوزراء الأسباني والذي أُعتبر أنه يمهّد الطريق لدخول ليبيا للشراكة الأوروبية-المتوسطية.

من ناحية أخرى، فإن دخول الأردن قد يفتح الباب لدخول دول غير متوسطة مستقبلاً في الشراكة الأوروبية-المتوسطية، على سبيل المثال موريتانيا.

هناك مصطلح هو "الدول الأوروبية المتوسطية" وهذا يعني: الدول التي هي أعضاء داخل الاتحاد الأوروبي وكذلك تطل على سواحل البحر الأبيض المتوسط مثل: فرنسا وإيطاليا وأسبانيا واليونان. لكن ليس فقط الدول الأوروبية الأعضاء_ أي في الاتحاد الأوروبي_ هي فقط الدول المشاركة في الشراكة الأوروبية المتوسطية، بل كل

دول الاتحاد الأوروبي بالإضافة إلى دخول دول أوروبية في الشراكة مستقبلاً بعد دخولها في الاتحاد مثل رومانيا وبولندا.

هناك مصطلح "الشرق أوسطية" و هو مشتق من عنوان كتاب شمعون بيريز "شرق أوسط جديد"، و أيضاً تشير إلى الأهداف الأمريكية-الإسرائيلية تجاه الشرق الأوسط.

عندما أذكر مصطلح الوطن العربي أو المنطقة العربية، فإنني أقصد بالتأكيد الشرق الأوسط. وذكر هذا المصطلح قد يتناسب أحياناً مع الجملة التي تشملها، كما أنني أريد الحفاظ على استخدام هذا المصطلح.

جنوب المتوسط: هي الدول العربية التي تطل على البحر المتوسط بالإضافة إلى الأردن وإسرائيل.

عند استخدام الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي أو الصراع العربي-الإسرائيلي فهنا لا تستبعد العملية السلمية من ضمن هذا المفهوم أو المصطلح. فالسلام هو دخول الصراع العربي الإسرائيلي من حقبة صراع إلى حقبة أخرى من الصراع- يمكن أن يسمى "صراع السلام".

الفصل الثاني:

مكونات الدور الأوروبي تجاه دول المتوسط

مدخل نظري:

"هناك علاقة لا يمكن تجاهلها بين عالم النظرية المجرد وعالم السياسة الحقيقي. فنحن نحتاج إلى النظريات؛ لكي نفهم سيل المعلومات الذي ينهمر علينا كل يوم".

ستيفن والت¹

طالما سيطرت النظرية الواقعية على السياسة الخارجية للدول وكذلك على العلاقات الدولية بشكل عام، وهذا كان ناتج عن مدى قوة هذه النظرية في تفسير العلاقات الدولية إبان الحرب الباردة بين الكتلتين الغربية بقيادة الولايات المتحدة والشرقية بقيادة الاتحاد السوفييتي. والمنافس لهذه النظرية إبان الحرب الباردة هي النظرية الليبرالية التي كانت تركز على نشر الديمقراطية و السلام و الاعتمادية والتبادل الاقتصادي. فأبرز من دافعوا عن هذه الأفكار الليبرالية مايكل دويل، وهوفمان، ونورمان انجل؛ بأن التبادل و الاعتمادية الاقتصادية بين الدول الصناعية جعل الحدود الإقليمية غير ذات أهمية².

فالليبرالية تنتظر للديمقراطية على أنها أهم العوامل التي تحقق السلام بين الدول. فتحقيق الديمقراطية يجعل من الدول تسلك بطريقة سلمية أكثر من غيرها، فهذا مايكل دويل يقول: إنَّ الدول الديمقراطية الليبرالية يتميز سلوكها بأنه سلوك سلمي. وهما هو فرنسيس فوكياما في كتابه "نهاية التاريخ" يعتقد بأن الديمقراطيات لا يمكن أن تتحارب؛ فلم نشهد قطعا أن تحاربت دولة ديمقراطية مع دولة ديمقراطية أخرى³.

¹ والت 1998: 7.

² Griffiths 1999: 53.

³ Walts 2000: 6.

هذا التبجح من قبل بعض الليبراليين كان سببه هو هزيمة الكتلة الشيوعية ونهاية الحرب الباردة والتي أسهمت في ارتفاع الأصوات الليبرالية والديمقراطية والتي كان يتغنى بها الغرب في أثناء الحرب الباردة.

ما يميز هذه النظرية_ أي الليبرالية_ هو: أنها تأخذ في عين الاعتبار الفاعلين الآخرين غير الدولة في العلاقات الدولية والإقليمية. فمؤسسات مثل: صندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية، تعتبر من ناحية ليبرالية بأنها تشكل علاقات تتعدى مستوى الدولة القومية.

هنا وفي هذه الدراسة نحن نتعامل مع الاتحاد الأوروبي وهو فعال غير الفاعل الذي تعتبره الواقعية الفاعل الرئيس أي "الدولة القومية". هذا الاتحاد قد وصل إلى درجة متقدمة في سلم التعاون والاعتماد الاقتصادي؛ أي وصل إلى "الوحدة النقدية". هذا الاتحاد أيضا ينظر إليه على أنه في طريقه إلى تحقيق نوع من الوحدة السياسية. ليس هذا هو الموضوع الرئيسي، فالموضوع الرئيسي هنا هو إن هذا الاتحاد قد بدأ في التطلع إلى الأماكن المجاورة الإقليمية. فاليوم الليبرالية يمكن أن تتجه نحو التعاون الإقليمي وليس فقط في العلاقات الدولية ككل. ففي ظل العولمة الجارفة في عالمنا اليوم يمكن انتشار ظاهرة "الإقليمية الجديدة" كإحدى سبل توفير أفضل في ظل هذه العولمة⁴.

الاتحاد الأوروبي والتوجه نحو الإقليمية:

الإقليمية هي السمة السائدة مع نهاية الحرب الباردة، فلو نظرنا إلى العالم من فوق لوجدناه عبارة عن كتل اقتصادية سمتها الأساسية هي التقارب الجغرافي. هذا التوجه

⁴ حتى 2004: 2 (<http://www.mersinfo.com/makhzoumy/hitti.html>)

نعالجه من خلال توجه الاتحاد الأوروبي تجاه منطقة حوض البحر المتوسط. هذا الحوض الذي يعتبره الاتحاد مصدر قلق أمني وكذلك اقتصادي وثقافي واجتماعي لدول الاتحاد الأوروبي.

يقول بوزان (Buzan): "هدفنا في المناطق كمركز للتحليل الأمني بأي شكل جذري ليس فقط من عملنا.... على نظرية الأمن الإقليمية، ولكن من التركيز على الافتراض الواسع بأنه في عالم ما بعد الحرب الباردة ستأخذ العلاقات الدولية سمة الإقليمية بشكل أكبر. والسبب الذي يقف وراء ذلك هو انهيار القطبية الثنائية قد أبعد القوة المنظمة الرئيسية على المستوى الدولي"⁵.

هذه السمة الإقليمية قد تكون ذات سمة خاصة عند التعامل مع إقليم البحر المتوسط. فهذا الإقليم يعكس توجه أوروبي ليس من ناحية اقتصادية فقط، بل من نواحي عدة في شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والبيئية. هذا التوجه الأوروبي يتناسب مع ما تطرحه النظرية البنوية. فلو أخذنا النظرة الواقعية في معالجة التهديد الذي يشكل إقليم البحر المتوسط على أوروبا لرأينا بأن هذا التهديد لا يحل إلا عن طريق القوة والتهديد بالمثل من منطلق واقعي متشائم⁶. لكن البنوية تقول: إن عالم ما بعد الحرب الباردة وعالم منتصف التسعينات هو عالم أكثر مركزية، وكذلك أكثر إقليمية بطبيعته حيث إن العالم يتجه نحو تعزيز البعد الإقليمي بشكل واضح وملحوس، وكذلك فيمكن التعامل مع الإقليمية من خلال خمس قطاعات هي البيئي والسياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي و ليس فقط على البعد السياسي والعسكري⁷.

⁵ Buzan 1997: 1.

⁶ والت 1998: 8.

⁷ Buzan 1997: vii.

الشراكة الأوروبية-المتوسطة، وهي المبادرة الأوروبية تجاه التعامل مع منطقة شرق وغرب حوض المتوسط، ربما لم تتجاهل أي من الأبعاد التحليلية التي تطرحها البنيوية بتعاملها مع المنطقة. أهداف أوروبا (الاتحاد الأوروبي) في هذه المنطقة تتأتى من أبعاد متعددة ومتشابكة سياسية واقتصادية واجتماعية وأمنية وثقافية. فتسعى أوروبا لحل هذه المعضلات. ففي شرق حوض المتوسط هناك معضلة أمنية وسياسية تتمثل بالصراع العربي الإسرائيلي وما ينتج عنه من عدم استقرار وتطرف وتنامي التيار الإسلامي الذي ترى فيه أوروبا بأنه متطرف، وأحيانا أخر إرهابي، ولا يمكن أن يتفق مع الغرب. أما في غرب الحوض المتوسط فهناك أيضا تنامي التيار الإسلامي المعادي للغرب وكذلك خطورة هذا التنامي بالنسبة لأوروبا بانتقاله عن طريق الهجرة الشرعية وغير الشرعية، وبذلك تكون قد انتقلت المشكلة إلى عقر دار الدول الأوروبية. بالإضافة إلى ما ذكر أعلاه هناك مخاوف أمنية أوروبية من التسلح في منطقة المتوسط وكذلك في الشرق الأوسط ككل.

يمكن فهم سلوك الاتحاد الأوروبي في مسيرته لتحقيق السلام في منطقة أو حوض المتوسط من خلال النظرية الليبرالية والتي استهلكت بها هذا المبحث بالإضافة إلى النظرية المؤسسية والليبرالية الجديدة.

فالالاتحاد الأوروبي يريد أن يقيم آليات لتعزيز الاستقرار بين وداخل الدول ذات السيادة. وهذا التوجه كما يقول غريفس بأنه ما يؤمن به الليبراليون⁸. فأوروبا تريد أن تحل المعضلات داخل دول جنوب المتوسط. فهذه الدول تشكل نظم سلطوية وبالتالي فإن

⁸ Griffiths 1999: 52.

التوجه نحو الديمقراطية والمشاركة السياسية من عامة الشعب قد يؤدي بدوره إلى زيادة الاستقرار داخل الدولة كمصر وتونس، وكذلك المناطق الفلسطينية (قطاع غزة والضفة الغربية).

ليس الاستقرار داخل الدول هو المعضلة الوحيدة. فكما ذكرنا هناك أزمة سياسية واحتلال من قبل دولة لأراضي دول أخرى. هنا نجد بأن الأمور متداخلة ومن أجل التسهيل في تحليلها أريد أن أفصلها. سأبدأ بالأزمة السياسية واقصد هنا الصراع العربي-الإسرائيلي.

تري الليبرالية بان الأمن يمكن أن يتحقق من خلال اعتمادية اقتصادية بالإضافة إلى الإجراءات القانونية الدولية⁹. وهذا النهج تعتمد أوروبا في محاولة لحل الصراع العربي الإسرائيلي فهي تريد أن تحقق تبادل وتعاون اقتصادي وهذا ما جاء في الشراكة الأوروبية-المتوسطة، بالإضافة إلى ذلك يؤكد إعلان برشلونة بالإضافة إلى معظم القرارات الأوروبية تجاه الشرق الأوسط على القرارات الدولية المتعلقة بحل الصراع¹⁰. فأوروبا من خلال ذلك تريد الأطراف الوصول إلى اتفاقيات وكذلك إلى مصالح مشتركة بين الأطراف وخاصة الاقتصادية منها. هذا يتناسب مع ما تطرحه النظرية المؤسسية. يقول روبرت كيوهاني: إنَّ هذه النظرية تكون مناسبة للنظام بين الدول إذا توفر شرطان. الأول هو وجود مصالح مشتركة والتي من خلالها يمكن للفاعلين أن يكسبوا من

⁹ Ibid: 52.

¹⁰ For more information look at: Europe 25/26 Nov. 1995

<http://europa.eu.int/comm/external_relations/euromed/bd.htm>

التعاون فيما بينهم. الشرط الثاني هو أن المؤسساتية تفرض تغييرات على سلوك الدولة في النظام الإقليمي والنظام الدولي. هذا من ناحية، من ناحية أخرى فإن الاتفاقيات بين الدول تساعد على فهم سلوك الدول وتمسح إلى درجة معينة الغموض بين الدول. حيث أن غياب الاتفاقيات سيصعب من حمل الدول على التعاون والتفاوض مع بعضها البعض أو لفهم أفعال الآخرين. فالنظم الدولية تعتمد على وجود اتفاقيات تجعل التفاوض ممكناً؛ فنظام دولي غير مؤسسي، على سبيل المثال، سوف يفقد تفاهات وتوقعات مشتركة¹¹. فالتطور بين الفاعلين يأتي من خلال إطار مؤسسي يجمع بينهم. هذا ما أراده الاتحاد الأوروبي في التعامل مع دول جنوب المتوسط. وكذلك من خلال العلاقة بين هذه الدول؛ فهو يهدف بذلك ومن خلال الحوار بين الأفراد بأن الغموض والتشكك يمكن أن يزاح عن طريق هذه الدول، وبالتالي يتحقق قدر أكبر من الاستقرار المرجو في المنطقة التي تؤثر تأثيراً مباشراً على الاتحاد الأوروبي.

وبذلك يمكن أن يصل الاتحاد الأوروبي إلى مرحلة بناء الثقة، بين الأطراف المتصارعة، الذي مرده الحد من انتشار الأسلحة التي تنتظر إليها أوروبا كمصدر تهديد ومخاوف يجب التعامل معها ووضع حد لها.

فالتعاون والحوار والتبادل التجاري والاقتصادي، كل هذه منطلقات ليبرالية ومؤسسية وكذلك ليبرالية جديدة يأخذها الاتحاد الأوروبي بعين الاعتبار، بل ويعتمد عليها في انطلاقه في بناء علاقات من نوع جديد مع دول حوض البحر المتوسط. فالإتحاد الأوروبي الذي تطور من الناحية النظرية تحت ما يعرف باسم "نظريات الاندماج

¹¹ Keohane 1989: 2, 4.

الإقليمي¹² يريد أن يعكس هذا التوجه من خلال المدارس النظرية المختلفة وذات الصلة بدول حوض البحر المتوسط.

فالاتحاد الأوروبي في توجهه هذا، يشاطر النظرية البنيوية؛ وهو أن العلوم السياسية هي أحد أهم العلوم الاجتماعية وبذلك لا يوجد فيها ثوابت كما تطرحه الواقعية، بل كل شيء قابل للتغيير والتبديل بما فيها الدولة. هذه الفكرة حول الدولة على الأقل، توافق عليها نظريات أخرى مثل الليبرالية والليبرالية الجديدة والمؤسساتية بان الدولة هي عامل متغير. هذا الطرح يتفق إلى حد كبير مع توجه الاتحاد الأوروبي داخليا وعلى صعيد الإقليم، ومن خلال مؤتمر برشلونة. فهناك فاعلون غير الدولة في العلاقات بين الدول في الإقليم يمكن تأسيسها.

هذا التوجه الأوروبي لحل المعضلات في الشرق الأوسط ليس جديداً والشرق الأوسط يفرض تحدي على الغرب بأكمله. يقول ألبوني: إذا أردنا دراسة علاقة الاتحاد الأوروبي مع الأطراف في منطقة حوض البحر المتوسط ومنها إسرائيل والفلسطينيين، فإن الليبرالية الجديدة من النظريات الأكثر نفعاً لفهم سلوك الإتحاد الأوروبي أكثر من الواقعية مثلاً التي تعتمد على القوة العسكرية وغياب التعاون بين الدول خوف التأثير على مصالحها القومية¹³.

فالعرب بأكمله نظر إلى الشرق الأوسط بأنه يفرض تحدياً استراتيجياً على الولايات المتحدة وكذلك الاتحاد الأوروبي في الوقت الحاضر، وهذا بدوره يفرض على

¹² كمال 2001: 17.

¹³ Aliboni 2003: 1.

الغرب إعادة التفكير بالطريقة التي يجب التعامل بها تجاه الشرق الأوسط. فالغرب يعتقد بأن دول حوض المتوسط وكذلك الشرق الأوسط لا بد أن تشهد تحولاً ديمقراطياً، لكن الاختلاف هنا بالوسائل والطرق في حمل الشرق الأوسط على مثل هذا التحول.

نرى أن الليبراليين الجدد يعتقدون أن عملية الديمقراطية الإجبارية أو القصرية قريبة للفشل، وبأن النجاح الحقيقي يأتي فقط من جهد طويل الأمد للمساعدة في دفع العرب لإصلاح مجتمعاتهم من الداخل. وهذا بدوره يقود لتغييرات أساسية وجذرية. عكس الواقعية التي ترى أن للدور العسكري أهمية في المساعدة على تحقيق التغيرات في الشرق الأوسط. فالليبرالية ترى أن الوقاية السياسية هي أول ما يجب فعله وبأن الخيار العسكري يمكن أن يكون خيار أخير. لكن القوة بالنسبة لليبرالية الجديدة لا يمكن أن تنفع كآلة عادية وكهندسة اجتماعية في الشرق الأوسط. فالهدف هو أن يحقق العرب "التحديث" والديمقراطية دون فرضها رغم أنفهم. وهذا عن طريق الأصوات التي تدعم هذا التوجه من داخل المجتمعات العربية ودعم هذه الأصوات لحملها على إحداث التغيير المرجو تحقيقه. وهذا يمكن أن يأخذ عقوداً وليس شهوراً¹⁴.

فبالنسبة لليبراليين الجدد، بناء الدول هو هدف استراتيجي. كما أن الفوز بالسلام هو أكثر أهمية من الفوز بالحرب. فالليبراليون الجدد يتمسكون بالعملية السلمية بين الفلسطينيين والإسرائيليين كأولوية من أجل أمن إسرائيل، وكذلك فتح الباب أمام الانتقال المرجو للمنطقة ككل. كما أن هؤلاء الليبراليون الجدد لا يعتمدون على بناء تحالفات

¹⁴ Asmus 2003: 1.

<<http://www.brook.edu/pritme.wbs?page=/pagedefs/4f5b0214e14eff3c34407abe0a1415cb.xml>>

تقليدية مثل الماضي ومثل ما تفعل في كثير من الأحيان الولايات المتحدة، بل بالاعتماد على قيادة من خلال الإقناع وتحالفات متعددة الأطراف وقوية¹⁵.

ما ذكر أعلاه يتناسب مع توجه الاتحاد الأوروبي تجاه منطقة حوض البحر المتوسط. فعند الحديث عن الإتحاد الأوروبي لا بد من التركيز وعدم إغفال أمور ثلاثة وهي متداخلة: الديمقراطية والاستقرار والأمن في شرق وغرب حوض المتوسط¹⁶. هذا بالطبع يشمل حوض البحر المتوسط والذي يشمل بدوره الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي وما نتج عنه من مرحلة جديدة للصراع بين الطرفين، وهي العملية السلمية وكيف ينظر الاتحاد الأوروبي إلى هذه العملية.

¹⁵ Ibid: 1.

¹⁶ Aliboni 2003: 1.

الدور الأوروبي تجاه حوض المتوسط

تمهيد:

حوض المتوسط أصبح يلعب دوراً مؤثراً في السياسة الخارجية الأوروبية، وخاصة في فترة التسعينيات أي الفترة التي تلت الحرب الباردة. ففي منطقة شرق المتوسط هناك صراع سياسي يتمثل بالصراع العربي - الإسرائيلي ينتج عنه قلق أمني و عدم استقرار، و في منطقة غرب حوض المتوسط مشكلة الهجرة. كما أن تلك المنطقتين تشهدان أزمات اقتصادية، ناهيك عن الأصولية. فما مدى أهمية حوض البحر المتوسط بالنسبة لأوروبا اقتصادياً و سياسياً و أمنياً؟

يمكن الإجابة عن هذا السؤال من خلال مشروع تقدمت به أوروبا. هذا المشروع هو الشراكة الأوروبية-المتوسطية. هذه الشراكة وضحت بأن توجه أوروبا تجاه المتوسط ليست مقتصرًا على بعد معين منفرد كالبعد الاقتصادي أو الجغرافي، بل إن هناك مشاكل أخرى تشكل لأوروبا هاجس أمني، مثل الهجرة والأصولية والخوف من تصدير هذه الأصولية لدول الإتحاد الأوروبي.

من جملة هذه الأمور أتى التوجه الأوروبي توجهاً إقليمياً - أي أصبح يتعامل مع منطقة البحر المتوسط كمنطقة متكاملة واحدة - والحل الوحيد؛ هو الحل الشامل لهذه القضايا عن طريق الحوار الإقليمي لحل جذور المشكلة.

ما هي الطرق التي يستخدمها الاتحاد الأوروبي للتعامل مع حوض البحر

المتوسط، وما هي الوسائل التي يستخدمها لتحقيق مصالحه في هذه المنطقة؟

هناك بالإضافة إلى المشاكل الأمنية التي يواجهها الشرق الأوسط، أسباب دفعت بأوروبا للتوجه عبر البحر المتوسط. فما هي هذه الأسباب والدوافع؟ هل أوروبا تأتي لحوض المتوسط من أجل حل مشاكله؟ أم من أجل تحقيق مصالحها الاقتصادية؟ أم الاثنين معاً؟ من خلال الفصل الأول ستحاول هذه الدراسة الإجابة عن هذه الأسئلة.

سيدرس هذا الفصل وسيناقش بشكل أساسي الأسباب التي دفعت بأوروبا للتوجه نحو المتوسط و التي من خلالها نلخص محددات الدور الأوروبي تجاه منطقة البحر الأبيض المتوسط، أي أنه سيلقي بالضوء على الأهداف التي تريد أوروبا التعامل معها أو تحقيقها في حوض البحر المتوسط.

عند التعامل مع الشرق الأوسط و منطقة حوض البحر المتوسط، فإن المرء يخوض في أمور عدة و متشابكة و ذلك بسبب الخصوصية التي يتميز بها الشرق الأوسط في العلاقات الدولية. فعند التعامل مع إقليم كإقليم البحر المتوسط، يجب في البداية إلقاء الضوء على علاقات الشرق الأوسط الدولية قبل الخوض في مشاكله الإقليمية و الداخلية؛ لأن ذلك سيسهل على الباحث فهماً كلياً لقضايا الشرق الأوسط بشكل عام و حوض المتوسط بشكل خاص.

الشرق الأوسط والنظام الدولي:

لا أريد أن أدخل في موضوع أسباب ومحددات التوجهات الأوروبية من خلال مؤتمر برشلونة تجاه حوض البحر المتوسط مباشرة قبل أن أعطي صورة لطبيعة العلاقات بين الدول في الشرق الأوسط، وكذلك علاقاتها مع النظام الدولي وقواه العظمى. تكمن أهمية هذا المبحث بعكسه التداخل المعقد في العلاقات الداخلية والإقليمية والدولية في أو بين دول الشرق الأوسط.

يقول كارل براون: "النظام السياسي المخترق هو النظام الذي لم يذُب داخل إطار المتحدي الخارجي وكذلك لا يُترك من قبضة خارجية جامحة. فنظامٌ مخترقٌ كهذا النظام يوجد في مواجهة مستمرة مع نظام سياسي خارجي مسيطر. ربما تقاس درجة الاختراق هذه بشكل أفضل عن طريق المدى الذي من خلاله تختلط الاختلافات بين السياسة المحلية والوطنية والإقليمية والدولية. فالسياسة للمجتمع المخترق بشكل كامل لا يمكن أن تفسر بشكل كافي — حتى على المستوى المحلي للدولة — دون إشارة لتأثير النظام الخارجي الدخيل (المتطفل)"¹⁷.

رغم أن الشرق الأوسط، حسب تعريف كارل براون، يختلف عن تعريف الشرق الأوسط في هذه الدراسة، إلا أن الشرق الأوسط في معظمه يُشمل في تعريف كارل براون. الشرق الأوسط هو مسرح للتنافس والنفوذ بين القوى العظمى في العلاقات الدولية. وهذه القوى تلعب دوراً بارزاً في التأثير على السياسات المحلية والوطنية وكذلك الإقليمية في الشرق الأوسط. رغم أن براون يتحدث عن حقبة تاريخية تختلف عن الحقبة

¹⁷ Brown 1984: 5.

التي عاشها الشرق الأوسط في فترة التسعينيات، إلا أن جوهر الاختراق الخارجي مازال أهم السمات في علاقات الشرق الأوسط الدولية والإقليمية وكذلك الوطنية.

الشرق الأوسط، كانت دائماً تتشكل فيه السياسة نتيجة مبادرات وتدخلات خارجية متمثلة ببريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق وغيرها. والشرق الأوسط ينتهي من مبادرة خارجية ويدخل في مبادرة جديدة. فالشرق الأوسط يتغير ويتطور وفق تأثير خارجي بشكل أساسي، ولكن يتداخل مع العوامل الأخرى.

ينقل براون عن دبلوماسي عربي قوله: "في الشرق الأوسط كل شيء يعود إلى كل شيء آخر"¹⁸. وهنا تطرح مجموعة أسئلة: هل ما زال الشرق الأوسط يتعرض للاختراق الخارجي؟ وما مدى هذا الاختراق؟ وما هي طبيعته وشكله؟ هل هو اختراق عسكري أم اختراق سياسي؟ أم هو نوع جديد يختلف عن سابقاته؟

سوف نجيب عن هذه الأسئلة في هذا المبحث ولكن سأبدأ بالحقبة الجديدة التي دخلها الشرق الأوسط مع بداية التسعينيات من القرن الماضي والتي تختلف في شكلها عما طرحه كارل براون قبلها بست سنوات بأن الشرق الأوسط يتعرض للاعبين سياسيين متعددين ومتنافسين ويحكم هؤلاء الفاعلين المنطق الواقعي "المتشائم" - أي أن الصراع والتهديد هما الميزتان التي تقوم عليهما العلاقات بين المتخاصمين المحليين والخارجيين. في هذه الدراسة لا أستبعد هذا المنطق بشكل كامل لكن في الوقت نفسه ليس هو المنطق الشامل لوصف فترة ما بعد الحرب الباردة على الأقل في هذه الدراسة.

¹⁸ Ibid: 16.

التوجه نحو الإقليمية:

بعد نهاية الصراع بين الشرق والغرب — أي الاتحاد السوفيتي والعالم الغربي — وقعت حادثتين غيرتا مجرى الأحداث أو الوضع في الشرق الأوسط، الحادثة الأولى هي دخول الولايات المتحدة حرب ضد العراق نتيجة احتلال الأخير لدولة الكويت مدعمة بقرار من مجلس الأمن والمجتمع الدولي. الحادثة الثانية هي توقيع اتفاقيات بين إسرائيل والفلسطينيين. هذه الاتفاقيات خلقت مدخل أساسي لحل الصراع في الشرق الأوسط. كذلك من أهم سماتها ولغرض هذه الدراسة دخول الاتحاد الأوروبي بأفكاره ورؤاه الإقليمية.

يقول كريستوفر زيبول (Chirstoph zopel): "إنّ من ناحية مؤسساتية، فإن النظام الجديد في الشرق الأوسط أسس حول منظمات أو مؤسسات عالمية أكثر فاعلية وخاصة الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية. أما من ناحية قوة ونفوذ سياسي، فإن ذلك حدد عن طريق دور الولايات المتحدة التي لعبته كقوة منفردة في نظام عالمي جديد وهي أيضاً بقيت وحيدة بسبب انهيار الكتلة الشرقية". ما يركز عليه بعد ذلك زيبول هو الإقليمية (regionalization) - و هو ما سنراه من خلال المبادرة الأوروبية المتمثلة بالشراكة الأوروبية المتوسطية- فيقول : إنّ الإقليمية أصبحت في تزايد في العلاقات الدولية، فهذه الإقليمية ترتبط بمصالح يجمعها التقارب، هذه المصالح تقود بدورها إما لصراعات أو تعاون بين الأقاليم المجاورة¹⁹.

بدأت تتطلع أوروبا بنظرة أكثر تمعنا تجاه الشرق الأوسط الذي يعيش خلافات إقليمية أكثر من أوروبا نفسها، لذلك بدأت أوروبا بتصميم مفهوم لعلاقات إقليمية متداخلة

¹⁹ Zopel 1999: 25.

(interregional). كما أن النجاح الذي حدث في كامب ديفيد والنجاح في توقيع اتفاقية بين دول إسلامية عربية (مصر) وإسرائيل يعطي نوع من التفاؤل في تحقيق نجاح آخر بين الدول في الشرق الأوسط²⁰.

الشراكة الأوروبية-المتوسطية (إعلان برشلونة):

إعلان برشلونة هو اتفاقية بين الاتحاد الأوروبي والدول التي تطل على البحر المتوسط غير الأعضاء في الاتحاد الأوروبي. هذا المؤتمر الذي نتج عنه إعلان برشلونة عقد في 27-28 نوفمبر تشرين الثاني 1995. ولقد هدف هذا الإعلان بالأساس إلى تحقيق أمور عدة من أهمها خلق منطقة ازدهار إقليمي ومنطقة تجارة حرة عام 2010 بالإضافة إلى قضايا أخرى تمهد الطريق لمباشرة تعاون أوروبي متوسطي وثيق بهدف الوصول إلى الاستقرار الإقليمي عن طريق حل معضلات ضرورية مثل الفقر والبطالة والأصولية والهجرة. حيث يعتبر هذا الإعلان نقطة تحول في العلاقات بين دول المتوسط والاتحاد الأوروبي²¹.

محاولة أوروبا بلعب دور في منطقة الشرق الأوسط ليس جديدةً. فدول الاتحاد، خاصة الكبرى منها، ترتبط مع دول المنطقة، كما نرى العلاقة بين لبنان مع فرنسا، ودول المغرب العربي مع فرنسا. فدول أوروبا بشكل خاص والاتحاد الأوروبي بشكل عام

²⁰ Steinberg 1996: 71.

²¹ For more information look at: Europe 27/28 Nov. 1995
<http://europa.eu.int/comm/external_relations/euromed/bd.htm>

يعتبران نفسيهما بأنّ لهما ميراثاً و تقارباً جغرافياً مع منطقة الشرق الأوسط إلى جانب شبكة العلاقات الاقتصادية و السياسية و الثقافية. هذه الصورة، التي تعكس توجه الاتحاد الأوروبي في منطقة حوض البحر المتوسط، مرتبطة بشكل أو بآخر برغبة الاتحاد الأوروبي بلعب دور للتأثير في الأحداث العالمية و الإقليمية.

هناك أسباب مهمة جعلت ورسمت الحاجة الماسة للاتحاد الأوروبي للتوجه تجاه حوض البحر المتوسط. أولاً: انهيار جدار برلين عام 1989 والذي قلب السياسة الجغرافية و الإستراتيجية رأساً على عقب، و شجع الإتحاد الأوروبي هذا ليتوجه نحو الجنوب من أجل إيجاد توازن ما بين شرقه وجنوبه و اللذان يتعلقان بشكل مركزي بالأمن لأوروبا²². وقد شجعت دول المنطقة الاتحاد الأوروبي بحاجتها لقوة دافعة من خلال الأوروبية-متوسطية لتقوية علاقاتها مع الاتحاد الأوروبي.

ثانياً: ظاهرة العولمة و التكتلات الاقتصادية والإقليمية من الملامح البارزة والأساسية للاقتصاد العالمي، حيث أصبحت هذه التكتلات الإقليمية خريطة جديدة تشكل النظام العالمي الجديد. ثالثاً: إن متطلبات السلام والأمن تزيد الحاجة لتقليل الفجوة القائمة بين دول البحر المتوسط والاتحاد الأوروبي، فإن لم تتخذ خطوات و إجراءات عملية و ملموسة لدعم التنمية الاقتصادية للمنطقة المتزايدة السكان، سترداد هذه الفجوة التي مردها زيادة الصعوبة في تحقيق السلام والأمن. من هنا أتت الحاجة لاتخاذ خطوة تمكن أوروبا و شركائها من مواجهة التحديات. فجاءت المبادرة للشراكة الأوروبية-المتوسطية التي هي الأكثر تقدماً في العلاقة في إقليم البحر المتوسط. رغم الامتيازات التجارية التي كانت

²² Fenech 1997: 150.

تقدمها أوروبا لدول المنطقة و الدعم المادي إلا أن التحديات لم تواجه بشكل ملموس، لذلك جاءت هذه الشراكة الأورومتوسطية (إعلان برشلونة) أكثر مصداقية لتواجه هذه التحديات²³.

لا أريد أن أطيل في الحديث عن هذا الإعلان أو الخوض في أبعاده؛ لأنني سأحدث عنه في مبحث آخر من هذا الفصل. الآن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هي أسباب عقد مؤتمر برشلونة؟ ولماذا الآن؟

التغير على المستوى الدولي والفرعي:

قال كلينتون في حملته الانتخابية: "إننا لا نستطيع أن نتحمل أربع سنوات أخرى دون أن يكون لنا خطة لقيادة العالم إن تصورنا للسياسة الخارجية الأمريكية يستند إلى منطق فكري بسيط، إنه في أوقات التغيير الأساسي ينبغي لأمریکا أن تقود العالم الذي بذلت الكثير من أجل إقامته عن طريق سياسات خارجية تتصدى لتحديات وفرص العقد المقبل"²⁴.

لم يكن كلينتون مختلفاً عن الرؤساء الأمريكيين الذين سبقوه، فهذا ليس جديداً على السياسة الخارجية الأمريكية. فهؤلاء الرؤساء جميعهم أرادوا نفس الدور و المنصب العالمي المميز للولايات المتحدة، إلا أن ذلك الطموح كان دائماً قاصراً أو محدداً بسبب الصراع بين الشرق والغرب²⁵.

²³ النواوي 2000: 106.

²⁴ عباس 1996: 22.

²⁵ مركز زايد 2001: 9.

يمكن شمل التغييرات التي حدثت تحت إطار التغير على مستوى النظام الدولي وعلى المستويات الفرعية للنظام الدولي كما يطرح آر. كيه. رامازاتي. كما نعلم، فإن الولايات المتحدة الأمريكية حلت محل بريطانيا في منطقة الشرق الأوسط؛ لتقوم بنفس الأغراض العملية في حوض المتوسط ومنطقة الخليج والهند الخصب. وهذا بدأ مع مبدأ ترومان لاحتواء الاتحاد السوفيتي وبرنامج المعونات المقدم لتركيا واليونان وكذلك أوروبا والذي سمي بمشروع مارشال. وهذا المبدأ مثل بداية ما يمكن أن نسميها القطبية الثنائية في مجال الأمن في منطقة الشرق الأوسط، حيث تم إنشاء منظمة الحلف المركزي "السنو". كآلية أمريكية لاحتواء السوفييت في الشرق الأوسط وهذا بدوره شمل منطقة حوض البحر المتوسط²⁶.

الولايات المتحدة استمرت في السيطرة على الشرق الأوسط في فترة الحرب الباردة وكذلك في فترة ما بعد الحرب الباردة، والاتحاد الأوروبي وخاصة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي كان عازماً لتأدية دور أكبر في المنطقة بما في ذلك عملية السلام التي انطلقت مع مؤتمر مدريد والتي تهيمن عليها الولايات المتحدة. فالولايات المتحدة وبعد تفكك الاتحاد السوفيتي استمرت في تعزيز وجودها العسكري في منطقة الخليج من جهة والسيطرة على العملية السلمية من جهة أخرى والمحاولة للانفراد بدور الوسيط. الأوروبيون من جهتهم بدأوا بطرح خطاً أمنياً للمنطقة بأسرها. كما نرى المحاولات الأوروبية للقيام بدور في المنطقة مثل الدور الفرنسي في التوسط إبان مذبحة قانا 1996.

²⁶ رامازاتي: 9.

في بداية التسعينات ظهر ما يسمى بالشرق أوسطية وهي رؤيا أمريكية-إسرائيلية لمنطقة الشرق الأوسط. هذه الرؤيا تهدف إلى خلق منطقة بعلاقات جديدة وتطبيع بين إسرائيل والدول العربية وتكون إسرائيل هي مركز الشرق الأوسط. هذا بدوره خلق حافزاً أكبر للإتحاد الأوروبي بطرح رؤيا أوروبية-متوسطية جديدة للمنطقة يكون هو المركز فيها.

الأسباب الكافية و الضرورية لعقد مؤتمر برشلونة:

من الناحية الاستراتيجية، الشرق الأوسط منطقة حيوية وبالغة الأهمية بالنسبة للدول الأوروبية، باعتبار الشرق الأوسط يشكل العمق الجغرافي لأوروبا، ولذا فقد عبرت الجماعة الأوروبية عام 1970 - بعد أن قامت بتصفية مستعمراتها في الشرق الأوسط - عن أهمية الشرق الأوسط لها، حيث اتفق الوزراء الأوروبيون على أن الصراع العربي - الإسرائيلي هو أخطر ما يمس المصالح الأوروبية على أساس الروابط الجغرافية والاقتصادية والسياسية مع منطقة الشرق الأوسط. وقد اعتبرت أوروبا عندئذ وبعد حرب حزيران عام 1967، أن هذا الصراع يمكن أن يؤثر مباشرة على أمن الدول الأوروبية خاصة أن الصراع بين طرفين ترتبط به أوروبا بعلاقات تاريخية معقدة ومتشابكة²⁷.

بعد حرب أكتوبر 1973، أحست أوروبا بميوعة مواقفها تجاه الشرق الأوسط بعد حظر النفط الذي استخدمه العرب ضد أوروبا الغربية. من ناحية أخرى فإن أوروبا دائماً تحرص على تأمين أسواقها في الوطن العربي الذي تزداد قدرته الاستيعابية من المنتجات

²⁷ حبيب 1997: 115-116.

الأوروبية، من 6,6% عام 1972، إلى 19,2% عام 1981. هذا يجعل من الدول العربية سوقاً هائلاً للمنتجات الأوروبية من ناحية أخرى، كما أن أوروبا تحرص على تأمين نصيب من رؤوس الأموال العربية المتراكمة من فوائد عوائد النفط، لتستثمر في أوروبا الغربية²⁸.

من هنا توضح المصادر التاريخية الأهمية البالغة التي أولتها أوروبا الغربية للصراع الفلسطيني - الإسرائيلي. فالقضية الفلسطينية تشكل عصب قضية الشرق الأوسط والصراع العربي الإسرائيلي. لذلك أوروبا قامت بالعديد من الخطوات؛ لتعرض وجهة نظرها وموقفها تجاه فلسطين. نرى ذلك في إعلانات وبيانات متعددة منها بيان شومان عام 1971 الذي ينص على انسحاب إسرائيلي إلى ما وراء خطوط 4 حزيران عام 1967، وبيان البندقية عام 1980 الذي اعترف بحق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته إلى جانب دولة إسرائيل، والذي أدى إلى غضب إسرائيلي²⁹.

يأتي السؤال هنا لماذا كانت أوروبا محصورة بإعلانات ومواقف دون القيام بخطوة عملية مثل ما حدث في إعلان برشلونة عام 1995؟

عند الحديث عن دوافع الاتحاد الأوروبي في الشرق الأوسط، يجب التمييز بين الدوافع الضرورية والدوافع الكافية التي أدت إلى عقد وتنظيم مؤتمر برشلونة عام 1995. فالإتحاد الأوروبي -كما نسميه اليوم- كان دائماً قلقاً على موارد الطاقة في منطقة البحر المتوسط والخليج العربي بالإضافة إلى الخطوط الملاحية في البحر المتوسط كونها بالغة

²⁸ حبيب 1997: 11-12.

²⁹ نهرا 2001: 157-160.

الأهمية باعتبارها الطريق من شرق وجنوب المتوسط لمستودعات النفط في الخليج العربي إلى أوروبا بالإضافة إلى احتياطي النفط في دول حوض المتوسط ككل. فاليابا تملك 50% من احتياطي نفط منطقة المتوسط، 64% من احتياط الغاز هو من نصيب الجزائر. فحول حوض المتوسط المنتجة للنفط تغذي الاتحاد الأوروبي بربع احتياجاته من النفط³⁰.

فترة الحرب الباردة كانت تتميز بأنها صراع من أجل النفوذ وكان مركزاً هذا الصراع هما الكتلة الغربية بقيادة الولايات المتحدة والكتلة الشرقية بقيادة الاتحاد السوفيتي. أما باقي دول العالم فهي بدرجة أو بأخرى كانت تدور في مدار فلك أحد هذين المركزين. من هنا كانت الحرب الباردة تفرض قيوداً على أوروبا الغربية من لعب دور في جنوب وشرق حوض البحر المتوسط، وعلى أي دور أوروبي للحفاظ على مصالحه كما ذكرنا أعلاه حول مصادر الطاقة مثلاً. فالبحر المتوسط نفسه كان مركز صراع بين الأسطول الأمريكي السادس والأسطول الروسي، فسياسة القوة والمنطق الواقعي المتشائم هما المساران السائدان في الحرب الباردة، لذلك لم تجد أوروبا القدرة على امتلاك الدور الفاعل والمؤثر في المنطقة، كما أن أوروبا كانت تخشى أمنها القومي من قوة تقع في شرقها قادرة على تدميرها إذا ما حدث صدام مباشر بين الكتلتين. كان الوحيد القادر على احتواء المد الشيوعي هي الولايات المتحدة، من هنا لم تجد أوروبا فرصة أو شروط كافية لتلعب دوراً في حوض المتوسط يناسب مصالحها.

³⁰ رمازاتي: 7-8.

لا شك أن هناك عوامل أخرى شغلت أذهان صانعي القرار في دول الاتحاد الأوروبي شاركت بشكل أساسي في حثهم ودفعهم لعقد مؤتمر برشلونة مثل العوامل الجغرافية والتاريخية والديمقراطية والثقافية التي أسهمت في الاتصال بين الشعوب الأوروبية وشعوب حوض البحر المتوسط على مدار آلاف السنين. فهناك خطر "الإرهاب" وانتشار أسلحة الدمار الشامل والخطر النووي المتمثل بإسرائيل والشكوك التي كانت تدور حول سعي العراق لامتلاك أسلحة بيولوجية ونووية بالإضافة إلى الشكوك التي كانت مثارة حول ليبيا فيما يتعلق بمشروعات أسلحة كيميائية. فهذه القضايا ومثيلاتها أثارت ونوقشت في مؤتمر برشلونة بالإضافة إلى قضايا عدة. نعرف أن هذه القضايا المثارة في المؤتمر ليست جديدة في المنطقة، إذن كما سألنا من قبل: لماذا منتصف التسعينات هي الفترة المناسبة وليست السبعينات أو الثمانينات؟ هذه القضية وقضايا أخرى لم تشكل سبباً كافياً لعقد مؤتمر مثل مؤتمر برشلونة³¹، رغم إنها كانت سبباً ضرورياً. هنا نطرق باب الحرب الباردة مرة أخرى وأبعادها الدولية والإقليمية بالإضافة إلى أن انطلاق عملية السلام وانتهاء شبخ الحرب الباردة هيأ المنطقة لحل النزاعات عن طريق الحل السلمي والتفاوض والحوار كما تراه القوة المنتصرة دون اللجوء، من أطراف الصراع، إلى أطراف ثالثة لتدعيم موقفها، هنا أقصد الدول العربية التي تحتل إسرائيل أجزاء من أراضيها مثل لبنان وسوريا بالإضافة إلى فلسطين.

³¹ المرجع السابق: 7-8.

البحث عن دور إقليمي أكبر:

طوال فترة الحرب الباردة، كانت الضرورة التي يقتضيها حلف معاهدة شمال الأطلسي تغطي على الدور الأوروبي في مواجهة حلف وارسو. لكن بعد تلاشي جزء كبير من هذه الضرورة وغياب شبح الاتحاد السوفييتي عن أوروبا وانشغال الولايات المتحدة في تعزيز وجودها العسكري في منطقة الخليج العربي بعد هزيمة العراق في 1991، أدركت أوروبا الحاجة إلى معالجة القصور في الاهتمام باتجاه منطقة البحر المتوسط عن طريق دعم العلاقات مع تلك المنطقة ودولها. من هنا بدأ الإتحاد الأوروبي بطرح خطاً أمنياً جديدة للمنطقة بأسرها تحت عنوان البحث عن دور إقليمي أكبر يتناسب مع المصالح الأوروبية³².

الشراكة الأوروبية-المتوسطية هي أنت نتيجة جهد أوروبي سياسي نشط في منطقة حوض البحر المتوسط. وهذه الاتفاقية تأتي في إطار السياسة الاستقلالية الأوروبية والتي تحاول بلورة سياسة خارجية مستقلة، ومتميزة عن الحليف الأكبر أي الولايات المتحدة الأمريكية. فأوروبا ومن خلال هذه الاتفاقية أرادت اقتناص الفرصة للدخول إلى منطقة شرق البحر المتوسط ومن خلال عملية السلام³³.

فأوروبا لها روابط متنوعة أكثر من الولايات المتحدة مع دول الشرق الأوسط. وهذه العلاقات الأوروبية في الشرق الأوسط تأتي نتيجة التقارب الجغرافي والمصالح الأمنية العسكرية والتداخلات الثقافية والعلاقات الاقتصادية ومصالح الطاقة والطبيعة البيئية والاقتصادية والاجتماعية³⁴.

³² المرجع السابق: 11.

³³ حتي 1996: 98.

³⁴ Zopel 1999: 26.

يقول نهرا: إن المشروع الأوروبي المتوسطي يعكس استراتيجية تمايز واضحة، وإن كانت تظهر بمظهر الاتفاق مع الهيمنة الأمريكية، إلا أنها تنزع إلى سحب البساط من الهيمنة الأمريكية في الشرق الأوسط عن طريق الاقتصاد، ولاسيما عن طريق ربط الاقتصاديات المتوسطية بنموياً بالاتحاد الأوروبي. وبدورها يتوقع أن تؤدي التبعية الاقتصادية الأحادية الجانب للدول العربية إلى تبعية سياسية شديدة، وستتزايد إذا ما بلغ الاتحاد الأوروبي مزيداً من الانسجام في مجال السياسة الخارجية³⁵.

بينما يرى "هاني حبيب" أن الشراكة الأوروبية-المتوسطية هي ليست مبادرة أوروبية منفردة تعكس استراتيجية أوروبية بحد ذاتها، بل يعتبرها بأنها جزء من استراتيجية أوروبية تتماشى مع الأهداف الأطلسية (أي حلف الناتو)³⁶.

بالرغم من ذلك، الاتحاد الأوروبي من خلال توسعه تجاه شرق أوروبا وحوض المتوسط يعكس طبيعة استراتيجية والتي قد يفرضها الاتحاد الأوروبي خلال مسيرته التوسعية إذا ما استجابت للمقاييس الاقتصادية. من ناحية أخرى فالاتحاد الأوروبي ورغم الخلافات بين دول الأعضاء إلا أنه يسعى ومن خلال المحور الفرنسي-الألماني لتجهيز قوة عسكرية للتدخل السريع بحيث تعطي الدبلوماسية الأوروبية وسائل القوة³⁷.

خلق توجه أوروبي متكامل نحو المتوسط:

جاءت الشراكة الأوروبية-المتوسطية كمبادرة أوروبية تجاه منطقة حوض البحر المتوسط. هذه المبادرة تشكل ميزة عن سابقتها من المبادرات الأوروبية و غير الأوروبية

³⁵ نهرا 2001: 258.

³⁶ حبيب 2003: 43.

³⁷ نهرا 2001: 258.

تجاه دول حوض المتوسط. فهذه المبادرة تشمل جميع الدول الأوروبية الأعضاء في الاتحاد. كما إنها ستشمل الدول التي ستضم إلى الاتحاد مستقبلاً كبلغاريا و رومانيا. الميزة الأخرى لهذه المشاركة بأنها حاولت مخاطبة جميع القضايا والمشاكل و الأبعاد التي تتعلق بمنطقة المتوسط. أخيراً، هذه الشراكة تأتي في إطار تعاون و حوار وليس لبناء حصن أوروبي لمنع الخطر و القلاقل التي ربما تصدر إلى أوروبا من دول حوض البحر المتوسط.

فأوروبا أرادت أن تتحرك بشكل موحد تجاه هذه المنطقة وهذا على وجه الخصوص بعد دخول اتفاقية ماسترخيت مجال التنفيذ عام 1994. لذلك أرادت أوروبا أن يقوم الاتحاد الأوروبي الجديد بهذه المبادرة حتى توصم هذه المبادرة بالاستقلالية عن أي دور فعال خارجي آخر في الإقليم كالولايات المتحدة. هذه الشراكة لم تأتي بمعزل من التطورات في إقليم البحر المتوسط وخاصة "العملية السلمية" التي انطلقت في بداية التسعينات ما بين إسرائيل والدول العربية المحتلة أرضها على وجه الخصوص والتي ربما أن تكون مدخلاً ومحوراً لسلام شامل في الإقليم.

نافس الاتحاد الأوروبي ثلاث مؤسسات في توجهه نحو حوض البحر المتوسط وهذا سيعكس شكل إعلان برشلونة المستقبلي. هذه المؤسسات هي حلف "الناتو" و "المنظمة الأوروبية للأمن والتعاون" (OSCE)، و "الاتحاد الأوروبي الغربي" (WEU). كل هذه المؤسسات تعنى بدرجة أو بأخرى بمنطقة حوض البحر المتوسط والتي دوله تؤثر بشكل

أو بآخر على الدول الأوروبية المتوسطية منها وغير المتوسطية. فهذا القسم يلقي الضوء على التوجه الأوروبي إلى حوض البحر المتوسط، بوحدته الجديدة.

الناتو قام بمبادرة تتعلق بحوض المتوسط في فبراير 1995 مُقرّاً بالقلق وعدم الاستقرار المتنامي في حوض المتوسط للأمن الأوروبي منذ 1991، فالمبادرة بدأت بعقد حوار مع المغرب وموريتانيا وتونس ومصر والأردن وإسرائيل. كذلك المنظمة الأوروبية للأمن والتعاون (WEU) التزمت بحوار مع المغرب وتونس والجزائر ومصر وإسرائيل وقبرص ومالطا منذ 1992، و "OSCE" أيضاً تملك الحوار الذي بدأ في ديسمبر 1994 في بودبست، وأعطت مستوى المراقب لكل من المغرب وتونس والجزائر ومصر وإسرائيل ووافقت لدعوة تلك الدول للاجتماعات عالية المستوى عندما تناقش قضايا حوض المتوسط³⁸.

هذه المؤسسات الثلاثة تعكس الهشاشة في التعامل مع حوض المتوسط وتعكس عدم التأكد والتخبط في التعامل مع حوض المتوسط فهي لا تريد لأوروبا أن تلعب دوراً هاماً بعلاقات مع دول خارج الاتحاد الأوروبي والخوف من تصدير "الالتحام" الذي حصل في أوروبا لدول حوض المتوسط. هذه المبادرات عن طريق المؤسسات الثلاثة NATO، WEU، OSCE تعكس المركزية الأوروبية الموروثة بتوجهها ولا تعكس تغير في مسارها التاريخي. إذن فإن المؤسسات الثلاثة هذه لم تخاطب الجذور الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لعدم الاستقرار والتي هي حجر الأساس للمشاكل الأمنية بين الشمال والجنوب. هذا كله جعل الاتحاد الأوروبي (EU) المنظمة المناسبة أكثر لمواجهة

³⁸ Winrow 1996: 52-56.

التحدي الطموح وطويل الأمد لتحقيق الاستقرار في حوض المتوسط عن طريق مخاطبة التحدي الأمني، ليس من فراغ، ولكن من ترابط في القاعدة الاقتصادية - الاجتماعية لهذا التحدي. من الناحية النظرية على الأقل فإن توجه الاتحاد الأوروبي تجاه حوض البحر المتوسط يعكس مبادرة تعطي أو تبشر بوعده أفضل متوفر للاستقرار المستقبلي في منطقة المتوسط بشكل أفضل وواعد على الأقل كما ذكرت من الناحية النظرية أكثر من مبادرات OSCE، WEU، NATO. هذا لا يعني أن الاتحاد الأوروبي هو مجرد وبعيد على عكس المركزية الأوروبية، فالاتحاد الأوروبي تقوده المصلحة الأوروبية، كما أن الدول الأعضاء للاتحاد الأوروبي ليست كلها مشتركة في المنظمات الأمنية في أوروبا وخارجها³⁹، بينما "الاتحاد الأوروبي" يمثل الدول الأوروبية في الوقت الحالي وجميعها في المستقبل القريب.

يشبه ناصيف حتى أوروبا عند مقارنتها بالنظام العربي - والتي تعيش مرحلة إعادة بناء بأنها أشبه "بالقطب المغناطيسي" في محيطها، بينما نرى أن النظام العربي نظام مفكك وفي مرحلة انجذاب إلى الخارج باتجاهات مختلفة. فأوروبا لاعب أو فاعل نشط يبحث عن دور إقليمي وعالمي وهو يملك إمكانيات تساعد على لعب هذا الدور المستقبلي، بينما العرب بمثابة ملعب متلقي لكل من يبحث عن دور عالمي كأوروبا ويمتلك القدرات لذلك الدور⁴⁰. الذي ينعكس من تعامل ومخاطبة الاتحاد الأوروبي للدول

³⁹ Fenech 1997: 152.

⁴⁰ حتى 1996: 89-90.

الجنوبية للمتوسط، وهو الاعتراف بأن ضعف وتشتت جنوب المتوسط يشكل خطورة أكبر على أوروبا من قوته.

الغرب رأى وبعد انهيار الكتلة الشيوعية ضرورة تشكيل نظام أوروبي جديد من خلال التعاون والتفاوض مع الخصوم السابقين وهذا من خلال بناء نموذج ودعم الأمن الجماعي، فالأوروبيون وحلفائهم الأمريكيون وافقوا على هذا المبدأ، فإذا لم يشمل هذا المبدأ منطقة المتوسط ككل فإن هذا يبين أن الأوروبيين يريدون بناء أمن جماعي للأوروبيين فقط وكحصن دفاعي من الجيران وهذا بدوره يؤسس ويجسر الحصن بين أوروبا ومنطقة جنوب المتوسط⁴¹.

الموجة الأخيرة في الوعي الأوروبي تجاه مشاكل المتوسط الأمنية توضح كل من الانحدار السريع في طبيعة القلاقل الأمنية الأوروبية والنزعة لـ CFSP و EU ليتطور للاستجابة للتحديات الواقعية. وليس من فراغ، الاتحاد الأوروبي لا ينظر إلى المشاكل الأمنية للمتوسط من خلال الضوء الغامض والرؤية الضيقة للتهجم من العالم الإسلامي، بل من سلسلة من الأخطار الناتجة عن الطبيعة الاقتصادية والسياسية المتشردمة لمنطقة حوض المتوسط، مثل الهجرة غير الشرعية والمخدرات والتسلح العسكري والجريمة المنظمة وسلسلة أخرى من الأخطار الأخرى التي تتطلب نظام أمني مبني على التعاون المتبادل وليس من بنى دفاعية مثل الناتو واتحاد غرب أوروبا وغيرها.

فمن خلال الربط بين دافع الاتحاد أو حافزه تجاه تحقيق هوية سياسية ومن ناحية أخرى حساسيته المتجددة حول المصالح الأمنية والسياسية للمتوسط وجيرانه في المتوسط

⁴¹ Ibid: 156

نادى لعمل واقعي ملموس. فالشراكة الأوروبية المتوسطية أعطت فرصة ملموسة لأوروبا لإعطاء (CFSP) أي سياسة أوروبية أمنية وخارجية مشتركة المجال للتحرك تجاه حوض البحر المتوسط.

ما يميز الشراكة الأوروبية-المتوسطية عن مثيلاتها من المبادرات الأوروبية الأخرى مثل مبادرة "5+5"، إنها دعمت بالتزام من قبل المبادرين الأوروبيين، فالمشاركون في هذه الشراكة تشمل كل دول الاتحاد الأوروبي وليس فقط الجنوبيون من دول الاتحاد كفرنسا وإيطاليا وأسبانيا وكذلك معظم دول حوض المتوسط غير العضو في الاتحاد الأوروبي، وتلك الشراكة تعتبر عملية متطورة ومتقدمة باستمرار، فهي في جوانب عديدة تكمل المبادئ وتتبع المقترحات في سياق الشمال والجنوب ولكن ما يميز EMP هو غياب روسيا والولايات المتحدة رغم أن كليهما عبر عن تمنيه للدعوة والحضور. لكن هذا الغياب لروسيا وأمريكا عزز الاقتراح بأن الاتحاد الأوروبي ومشاركه فضلوا في هذه المرحلة تحديد أو الحد من المشاركة السياسية الخارجية في هذا المشروع رغم أنه لم يتجنب أي استثمار خارجي أو أمريكي⁴². وهذا يمثل إلى حد بعيد رغبة أوروبا بالتحرك نحو المتوسط بأوروبا جديدة التي تسعى للتكامل والانفصال عن أي تبعية خارجية.

محددات الشراكة الأوروبية-المتوسطية (إعلان برشلونة):

عند الحديث عن تفسير وتحليل الاتحاد الأوروبي وسلوكه ودوافعه تجاه منطقة حوض البحر المتوسط، والتي تشمل إسرائيل والفلسطينيين فلا بد من التطرق إلى اتفاقية

⁴² Ibid: 171.

شملت معظم دول حوض البحر المتوسط وكذلك لا بد أيضاً من التطرق إلى الظروف الخارجية والإقليمية والداخلية التي تقف وراء هذه الاتفاقية. هذه الاتفاقية وكما ذكرنا سابقاً هي إعلان برشلونة أو الشراكة الأوروبية المتوسطية التي عقدت في 27/28 نوفمبر 1995. هذه الاتفاقية توضح بشكل كبير دوافع ودور الاتحاد الأوروبي في منطقة حوض البحر المتوسط الذي يشكل الامتداد الإقليمي بالنسبة لدول الاتحاد الأوروبي، والتي تتأثر أوروبا من مجرى الأحداث فيه. فهذه الشراكة المتوسطية تعكس توجه أوروبي بالأساس تجاه حوض المتوسط وهي توضح الرؤيا المستقبلية للاتحاد الأوروبي فيما يتعلق بمستقبل علاقاته مع الدول التي تقع في جنوبه.

الشراكة الأوروبية المتوسطية تعكس بحث أوروبي عن تحقيق نفوذ جغرافي واقتصادي وسياسي في منطقة حوض المتوسط، لكن هذا النفوذ يختلف عن طبيعة الغزو الأوروبي في الماضي. الآن المنطقة الأوروبية تضع على سلم أولويتها تحقيق استقرار في هذه المنطقة، وليست السيطرة المفرطة وزيادة عدم الاستقرار؛ لأن هذا سيعود بالسلب على أوروبا وهذا ليس من مصلحتها على الأقل في هذه المرحلة.

هناك ثلاثة أبعاد هي التي تحدد وتوجه الاتحاد الأوروبي تجاه دول الشرق الأوسط أو دول المتوسط غير الأعضاء. هذه الأبعاد تصف الحالة بشكل عام. هذه الأبعاد هي البعد الإقليمي و السياسي والاقتصادي بشكل أساسي وعام، البعد السياسي: يتمثل بالهجرة والأصولية وانعدام الأمن. البعد الاقتصادي: بترول وسوق لتصدير السلع. و البعد

الإقليمي. هذه الأبعاد كلها مرتبطة في بعضها البعض وتؤثر ببعضها تأثير مباشر وغير مباشر.

البعد الإقليمي:

جدد المجلس الأوروبي في يوليو 1994، في الإعلان عن اهتمامه بإقليم حوض البحر الأبيض المتوسط ودعا المفوضية إلى تقديم تقرير جديد في "أسرع وقت ممكن، مع ضرورة احتوائه على توصيات بشأن كيفية دعم سياسة الاتحاد تجاه إقليم البحر المتوسط في الأجلين القصير والمتوسط على نحو يخدم مصالح الاتحاد الأوروبي وشركائه في منطقة البحر المتوسط ويدعم السلام والاستقرار والأمن والتنمية الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة"، وهذا كان نقطة البداية لإعلان برشلونة⁴³.

إعلان برشلونة هو مبادرة صممت لمخاطبة القضايا المختلفة لخلق نطاق مشترك للسلام والازدهار والاستقرار في حوض المتوسط، وهي بالأساس مبادرة أوروبية تجاه الدول في جنوب المتوسط والتي كانت بالماضي اقتصادية بطبيعتها. توسعت المبادرة لتشمل توصيات مهمة أو محددة للتقدم على مستوى الأطراف في المجالات السياسية والأمنية والثقافية والاجتماعية. فالجانب الاقتصادي الموروث عن الماضي سيخاطب المجالات الأخرى. جاء في نص برشلونة "تحويل منطقة المتوسط إلى منطقة حوار متبادل وتعاون لمنح السلام والديمقراطية والازدهار الذي بدوره يتطلب تقوية الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان، وتطور اجتماعي واقتصادي ثابت ومتوازن. وهذا بدوره سيحد

⁴³ هنسون 1994: 101.

من الفقر وتعزيز وتفاهم أكبر بين الثقافات التي هي مظاهر مهمة للشراكة"⁴⁴. كما ورد في مقالة زافرين ومحجوب هناك جدول يوضح النتائج والوسائل وآليات الشراكة:-

الاستحقاقات	الوسائل	الآليات
السلام	الديمقراطية	الحوار
	التطور الاقتصادي	التبادل
ملكيات مشتركة	التطور الثقافي والاجتماعي والإنساني	التعاون

هذه العوامل تبدو منفصلة، لكنها بالنسبة للشراكة، هي تهدف إلى إنجازها بشكل متكامل⁴⁵. هناك تداخل بين الأشكال المختلفة للشراكة المتوسطة بين النتائج والوسائل والآليات. وهذه الشراكة توضح رؤية مشتركة للتكامل شاملة ما يجب فعله وتحقيقه. هناك حسابات ذات قيمة للسياسة الأوروبية، يجب أخذها في عين الاعتبار، في علاقاتها مع المنطقة العربية و"فلسطين" (الفلسطينيين وإسرائيل). فهي تقوم بتقريب وجهات النظر بين الأطراف المتصارعة في الشرق الأوسط لكن هذا لا يمنع أن لأوروبا أهداف ومحددات تتطلق منها في التعامل بين الفلسطينيين والإسرائيليين والأطراف الأخرى في الإقليم.

⁴⁴ Europe 27/28 Nov. 1995. < http://europa.eu.int/comm/external_relations/euromed/bd.htm>

⁴⁵ Zaafrane 2000: 10.

الإقليمية لا تعني بقضايا السلام والأمن فقط ولكنها تعني بأمور أخرى اقتصادية واجتماعية وثقافية أيضاً. فهناك تجارب للمنظمات الإقليمية، حيث هناك محاولات إقليمية عديدة مثل محاولات الاتحاد الأوروبي، كالأسيان، والنافتا.... وهي تجارب تقدم نموذجاً للتعاون والتكامل الإقليمي، والاعتماد على منظومات موسعة ومكثفة من التعاون الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي يهدف إلى حل النزاعات وتحقيق مستويات متقدمة من التعاون الإقليمي⁴⁶.

بروز فكرة "المتوسطة" يعود لأسباب عديدة من أهمها: التطورات التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط والترتيبات الجديدة لما يسمى شرق أوسط جديد، والتي باتت تشهد تنافساً أوروبياً أمريكياً في إطار تشكيل تجمعات وتكتلات إقليمية، بالإضافة إلى ذلك دول أوروبا (الاتحاد الأوروبي) تشعر وهي تستكمل وحدتها بأن استقرارها أصبح مهدداً ببعض الأخطار الناجمة عن الضفة الجنوبية والشرقية للمتوسط مثل المخدرات والهجرة والأصولية، وذلك فضلاً عن الفجوة الاقتصادية بين شمال وجنوب المتوسط⁴⁷.

يقول حسن أبو طالب حول إقليم البحر المتوسط: "إن الوضع الراهن يأخذ أبعاداً مختلفة، وتبرز فيها الدوافع الاقتصادية والاجتماعية والبيئية بدلاً من الدوافع الأيديولوجية والعسكرية، ولما كانت عملية إعادة تشكيل النظم الإقليمية لا تحدث بفعل الضغوط الدولية وحسب، فهناك عوامل محلية خاصة بكل إقليم على حدة تعمل إما على تطور الإقليم وتحقيق مزيد من التماسك بين أعضائه، أو تضع له حدوداً لا يمكن تجاوزها، أو ربما تدفع إلى محاولة إنهاء وجود إقليم، والبحث عن صيغ إقليمية جديدة"⁴⁸.

⁴⁶ مخير 1994: 184.

⁴⁷ المرجع السابق: 187.

⁴⁸ أبو طالب 1994: 63.

فالشراكة المتوسطية تسعى إلى إنشاء واقع جديد من أجل مصلحة جميع دوله وهذا ما قاله الرئيس المصري حسني مبارك أمام البرلمان الأوروبي في ستراسبورغ في نوفمبر 1991⁴⁹.

من الناحية الجغرافية فإن الدول العربية هي الأقرب إلى الاتحاد الأوروبي، لذلك يمكن للبشر والسلع والأفكار أن تتقدم أو تنتقل بسهولة، كذلك فإن عدم الاستقرار سيؤثر على أوروبا وهذا يؤكد عن طريق ما حدث في الجزائر، والخوف من تصدير الأصولية عن طريق الهجرة. ومن ناحية اقتصادية فإن الوطن العربي هو مصدر رئيس للنفط للدول في الإتحاد الأوروبي، كما أن الدول العربية هي سوقاً رئيسية لتصريف المنتجات الأوروبية

البعد الاقتصادي:

"إذا أرادت أوروبا أن تلعب دوراً في المنطقة، يجب أن تستمر و تزيد من مشاركتها الاقتصادية (economic involvement)، فهي يجب أن تستمر بنشاطاتها من النوع التي ذكرت في مؤتمر برشلونة، كذلك يجب أن تقوى روابطها السياسية في المنطقة (الشرق الأوسط). كما يجب أن تشجع برامج الشعب للشعب (people to people programs). فهي الكيان الوحيد الذي يستطيع أن يجمع جميع الأطراف معاً تحت مظلة حوض البحر الأبيض المتوسط"⁵⁰.

⁴⁹ الدسوقي 1994: 8.

⁵⁰ Katz 1997: 39.

يعتبر البعد الاقتصادي المحور الأساسي في التوجه الأوروبي مع دول حوض المتوسط، وتكمن هذه الأهمية في كون الروابط الأوروبية المباشرة مع هذه الدول هي اقتصادية بالأساس. لكن أوروبا تريد أن تدخل المنطقة بعلاقات اقتصادية وتجارية من نوع جديد والذي تريده أن يتماشى مع التوجه الشامل نحو المتوسط ببعديه الأمني والإقليمي. فأوروبا هي الأقوى اقتصادياً بالمقارنة مع دول حوض المتوسط، فهي تشهد نوعاً من التكامل الاقتصادي والذي وصل إلى مراحل متقدمة بالوصول إلى الوحدة النقدية (Monetary union)، بينما الدول في حوض المتوسط تشهد تخلفاً اقتصادياً وصناعياً بالإضافة إلى أنها تعيش مرحلة غير مستقرة اقتصادياً ولا توجد أي أنواع الوحدة الاقتصادية بين بلدان حوض البحر المتوسط. أوروبا ومن خلال توجهها الاقتصادي تريد أن تحقق أهدافاً اقتصادية غير منفصلة عن الأهداف الأخرى كالأمنية مثلاً. فأوروبا تنظر إلى القلاقل الأمنية في منطقة المتوسط بأنها ناتجة بالإضافة إلى عوامل أخرى، من أزمة اقتصادية وفقر تعيشها بلدان جنوب المتوسط. فلذلك فإن الدعم والتقدم الاقتصادي سيكون له أثره الفعال في حل جزء من المعضلة الأمنية في المنطقة.

يقول شتينبيرغ (steinberg): إنَّ الأمن والاستقرار الإقليميين في الشرق الوسط وحوض المتوسط خاصة يرتبطان مع التغيرات والظروف الاقتصادية. فتلك الظروف الاقتصادية الحالية تساهم في حدة التوتر والعنف وبذلك تكون عقبة في تحقيق الاستقرار والتعاون وتخفيف التسلح. وهذا الأمر تدركه وتتعامل معه مبادرة الاتحاد الأوروبي تجاه

المتوسط والمتمثلة بالشراكة الأوروبية-المتوسطية⁵¹. فتحقيق الأمن والاستقرار يأتيان من الفهم الواقعي لمصادر التهديد والخطر في حوض البحر المتوسط. فتوظيف العامل الاقتصادي سيكون له أثره الإيجابي في انتقال المنطقة من الصراع إلى التعاون الذي ترجوه أوروبا لتحقيق الاستقرار.

من ناحية أخرى أوروبا ترى أن هذه المنطقة ذات أهمية اقتصادية لها. العودة الأوروبية للمنطقة العربية والإحساس بأهميتها تعود بشكل أساسي لدوافع اقتصادية و هذا ظهر بوضوح أثناء حرب 1973، حيث استخدم العرب النفط كسلاح ضد أوروبا الغربية. من ناحية أخرى، تحرص أوروبا على تأمين أسواقها في العالم العربي، حيث ازدادت القدرة الاستيعابية للعرب من المنتجات الأوروبية من 6.6% عام 1972، إلى 19.2% عام 1981. هذا يجعل من المنطقة العربية سوقا هائلا للمنتجات الأوروبية. كذلك تحرص أوروبا على تأمين نصيب جيد من رؤوس الأموال العربية المتراكمة من فوائد عوائد النفط لتستثمر في أوروبا⁵².

كذلك تزايد الانزعاج الأوروبي من المحاولة الأمريكية بأن تبقى الولايات المتحدة هي اللاعب الرئيس و تهميش أوروبا من لعب أي دور مركزي فعال وهذا من خلال مؤتمر مدريد وكذلك من خلال الرؤية الشرق أوسطية. ولذلك جاء الرد الأوروبي في قمة الدار البيضاء حين ألقى رئيس المفوضية الأوروبية حينذاك، جاك ديلور، خطابات متوسطة أشار فيه إلى أهمية منطقة حوض المتوسط لأوروبا وبأن هذه المنطقة هي

⁵¹ Steinberg 1996: 77.

⁵² حبيب 1996: 116.

منطقة جوار وتاريخ مشترك وكذلك بسبب المصالح الاستراتيجية لأوروبا معاناً إقامة فضاء اقتصادي أوروبي متوسطي في حلول عام 2010. وفي قمة عمان عارضت ألمانيا وفرنسا إنشاء بنك للتنمية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وهذا ما تلاقى مع موقف دول الخليج⁵³.

إقامة منطقة تجارة حرة:

جاء في إعلان برشلونة التمهيد لوصول أو إقامة منطقة تجارة حرة في منطقة حوض البحر المتوسط بحلول عام 2010⁵⁴. هذه الخطوة أثارت جدلاً بين مؤيد لهذه الفكرة بحيث أنها ستنقل بالمنطقة إلى تكامل وازدهار. ومعارضون لها حيث يرون بأنها ستضر بالاقتصادات العربية.

بالنسبة لإنشاء منطقة تجارة حرة بين الاتحاد الأوروبي ودول حوض المتوسط غير الأعضاء، فإن أوروبا بحاجة أكبر من الدول العربية لهذه المنطقة، وهذا من أجل زيادة حجم الأسواق، كما أن الفوائد المتوقعة للجانب الأوروبي أكبر من تلك المتوقعة للجانب العربي على الأقل على المدى القصير وهذا بسبب التفوق النسبي للمنتجات الأوروبية⁵⁵.

يرى محمد الأطرش أن الشراكة الأوروبية-المتوسطية ستجهض المشروع الوحدوي العربي وبخاصة في الحقل الاقتصادي⁵⁶، وهذا يعني إجهاض الوحدة من جوانب أخرى.

⁵³ حتى 1996: 97.

⁵⁴ Europe 25/26 Nov.1995 <http://europa.eu.int/comm/external_relations/euromed/bd.htm>

⁵⁵ كمال 2001: 77.

⁵⁶ الأطرش 2001: 89، 94.

يقول فيدنفلد (Weidenfeld): إن "غياب التكاملية، بالإضافة إلى المستويات المختلفة و المتنوعة من المنافسة للاقتصاديات الفردية (individual economies)، في الشرق الأوسط والذي أثارت فيه هذه الاقتصاديات جدلاً بأنه يسير ضد مبدأ التعاون الإقليمي"⁵⁷. وهذا أوروبا تدركه، ورغم ذلك تسير في توجهها من خلال المحاولة لخلق تعاون بين دول المنطقة.

هدفت أوروبا في توجهها الإقليمي الاقتصادي أن تساعد في التنسيق الاقتصادي بين الدول المتوسطية كمحاولة لدمج الاقتصادات الإسرائيلية والفلسطينية والأردنية والمصرية مع بعضها البعض، يهدف لتحقيق الاستقرار في العلاقات السياسية والاقتصادية، ولذلك من أجل جذب دول المغرب العربي لهذا التوجه. لكن اعترض هذا التوجه الإقليمي العقبات السياسية. فرغم أنه ارتبط في الذهن في فترة التسعينات بأن علاقة الاقتصاد بالسياسة قد مرت في تغير جوهري إلا أن التعثر التي عاشته وما زالت تعيشه عملية السلام في الشرق الأوسط (أي في شرق المتوسط) قد أتت بعقبات أمام التقدم نحو إقامة تجارة حرة عن طريق دمج اقتصادات دول حوض المتوسط⁵⁸.

كما أن هناك تخوفاً عربي من تفوق إسرائيلي بسبب تقدمها الصناعي مقارنة بالاقتصادات العربية التي هي بدائية وزراعية بشكل أساسي. والخوف من زيادة التبعية لإسرائيل. هذه المخاوف تجد مكاناً لها على الأقل بسبب التوتر السياسي الذي تعيشه المنطقة وعدم قبول إسرائيل بالانسحاب من الأراضي التي احتلت عام 1967. كما أن

⁵⁷ Weidenfeld 1995: 31.

⁵⁸ فاينفلد: 25.

السوق العربية تفتقد لعنصر التنافس والتخصص؛ لأنها متشابهة حيث نرى بأن صناعة النسيج موجودة في جميع الدول مثل مصر والأردن. من ناحية أخرى عنصر الجودة مهم لأي اقتصاد حتى يستطيع المنافسة أمام منتجات أخرى متشابهة.

البعد الأمني والسياسي:

"لماذا يجب على أوروبا أن تكون في الشرق الأوسط، عوضاً عن علاقاتها التاريخية، ألا يوجد لدينا مصالح سياسية في المنطقة؟ أليس الاستقرار في أوروبا الموحدة غير مرتبط بالاستقرار في الشرق الأوسط؟ ألم تقل أوروبا، وفي كل مناسبة، بأن السلام والاستقرار في الشرق الأوسط هي من أولوياتها الأساسية في علاقاتها الخارجية؟ ألا يوجد لدينا مصالح في المنطقة؟ نحن يجب أن نقيم نوعاً جديداً من العلاقات بين الأوروبيين والإسرائيليين والعرب. هذا هو السبب الذي دفع الإتحاد الأوروبي كي يقرر لانطلاق عملية برشلونة - التي هي عالمية - التي تتعامل مع قضايا ثقافية وأمنية وسياسية واقتصادية. كل هذا يظهر بأننا جزء من المنطقة، أوروبا تملك إرادة سياسية ووسائل اقتصادية وحساسية ثقافية لتخاطب بشكل أكبر وبطريقة كافية قضية الشرق الأوسط"⁵⁹. إن الحديث عن مشروع الشراكة المتوسطية وإعلان برشلونة بين دول تطل معظمها على حوض البحر المتوسط يرتبط بالحاجة للاستقرار في هذه المنطقة، فهذا إذن يثير قضية التطور السياسي. ومن ثم موقع المسألة الديمقراطية في هذا السياق.

⁵⁹ Moratinos 1997: 14-15

البعد السياسي هو أحد أهداف الاتحاد الأوروبي في تعامله مع دول حوض الأبيض المتوسط وأكثرها بروزاً. فهذه المنطقة تغوص في صراعات متعددة الجوانب و التداعيات التي تؤثر بدورها على أوروبا. أهم هذه الصراعات هو الصراع العربي الإسرائيلي.

إن من أهم مصالح و أولويات الاتحاد الأوروبي في هذه الفترة هو تحقيق الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة وجنوب وشرق المتوسط بصفة خاصة بحيث لا يؤثر في المصالح الاقتصادية للاتحاد في منطقة الشرق الأوسط، بالأخص انتقال مشاكل جنوب المتوسط إلى شماله⁶⁰.

الاتحاد الأوروبي أطبق مبادرة أوروبية-متوسطية وهي برنامج وضع لتعزيز عملية الانتقال في الشرق الأوسط. هذه المبادرة هي التي تعتبر شاملة لمعظم القضايا التي تعتبر هي حجر الأساس في عملية الانتقال في منطقة المتوسط والشرق الأوسط. أهمية هذه المبادرة تأتي في إطار تعزيز هذه العملية حيث أن المناطق المجاورة يمكن لها أن تتطور من نطاقات مستقبل غامض إلى استقرار أمن طويل الأمد⁶¹.

فعند التعامل مع القضايا الأمنية من قبل أوروبا، فإن قضايا مثل العنف وبناء الثقة والأمن الاقتصادي وتخفيف حدة الصراع في الشرق الأوسط لا تجعل الدول في المنطقة معزولة عن بعضها البعض من وجهة النظر الأوروبية.

⁶⁰ كمال 2001: 76.

⁶¹ Weidenfeld 1997: 9-10.

فخلال العقود الأخيرة و بداية من نهاية الحرب العالمية الثانية فإن مصادر عدم الاستقرار في المنطقة قد توسعت. وامتدت إلى خارج حدود دول حوض البحر المتوسط. فعند تحليل مصالح الأمن الأوروبية في المنطقة فإن من الضروري على أوروبا التعامل مع جميع المناطق في الشرق الأوسط وعلى رأسها الصراع العربي الإسرائيلي ومع جميع الأطراف في هذا الصراع. فلذلك عند التعامل مع هذه المنطقة و من خلال الجهود الأوروبية لبناء الثقة وإجراءات بناء الأمن والحد من انتشار التسليح والاستقرار الأمني والإقليمي يتطلب مشاركة جميع الفاعلين في المنطقة⁶².

الواقع الأمني في الشرق الأوسط:

يقول فانفيلد: "هناك ثلاث ظواهر يمكن أن يعرفوا كأسباب أكثر أهمية للصراعات الدولية: أولها، أن هناك صراعات تتطور بسبب حقوق السيادة و الوصول لمصادر القوة. ثانياً، الصراعات تنشأ نتيجة درجة من الغموض والتشكك حيث إنَّ دوله تقلق من أفعال دولة مجاورة وبأن الإدراك القومي المتبادل للتهديدات يحدث نتيجة الغموض و التشكك (uncertainty). ثالثاً الصراعات الداخلية التي يمكن أن تتمدد خارج الحدود الوطنية لتهديد الاستقرار في النظام فوق إقليمي"⁶³.

معضلة الأمن في الشرق الأوسط تأتي من عدة جوانب، فنرى الصراع الحدودي بين العديد من الدول، مثل ما حدث بين إيران والعراق على شط العرب. كذلك بين

⁶² Steinberg 1996: 65-66.

⁶³ فانفيلد: 13.

السعودية وقطر، وكذلك معضلة الأمن في منطقة الخليج بعد حرب الخليج الثانية، إضافة إلى هذا كله الصراع العربي الإسرائيلي.

هذا كله قاد إلى زيادة في التسلح العسكري، فمثلاً دول مجلس التعاون الخليجي خصصت عام 1993 13% من الناتج القومي الإجمالي لاستيراد السلاح. من جانب آخر وفي منطقة شرق المتوسط نرى بأن إسرائيل تزيد من ترسانتها النووية وهذا يشكل نقطة الخلاف مع الدول العربية وخاصة مصر وسوريا. هذا بدوره يعزز من عدم الثقة، وغياب الاستقرار والغموض. فالدول العربية ترى بأنه إذا استخدمت إسرائيل السلاح ضد دولة ستكون بالتأكد دولة عربية أو إسلامية. كذلك من وجهة نظر إسرائيل فإن هذا التسلح ضروري لردع أي هجوم محتمل. انعدام الأمن، وغياب الثقة، والغموض إضافة لسباق التسلح مفاده توقع نشوب صراعات عسكرية تعصف بالشرق الأوسط وتجر المنطقة إلى حافة الهاوية خاصة إذا كانت المواجهة عربية-إسرائيلية. يمكن أن يرد البعض بأن نشوب حرب في منطقة الشرق الأوسط بين العرب وإسرائيل شيء من قبيل المستحيل حيث إن توازن القوى في النظام العالمي يصب في مصلحة إسرائيل⁶⁴.

سباق التسلح:

هذا الواقع الأمني الذي يعيشه الشرق الأوسط يعزز من مشاعر التشكك والتهديد، لذلك نشهد دائماً زيادة نسبة التسلح في هذه المنطقة. هذا التسلح هو لا يتماشى مع أهداف أوروبا في المنطقة التي تريد أن تحقق السلام والاستقرار. رغم انطلاق عملية السلام في

⁶⁴ Weidenfeld 1997: 15-18.

الشرق الأوسط إلا أن الصراعات الداخلية في الإقليم ولاسيما الصراع العربي - الإسرائيلي ما زال عقبة في وجه تحقيق السلام. فالاستمرارية في هذا الصراع ينقل الصراع من نقطة إلى نقطة أكثر شحونة.

هذا يخلق احتمالية وقوع أو نشوب حروب والذي لا تريده أوروبا خوفاً من التأثير عليها أو على أمنها، وزاد هذا من قلق أوروبا بسبب تكوين النظم التسليحية وانتشار أسلحة الدمار الشامل في الشرق الأوسط. فأوروبا نفسها تشعر بتهديد من هذه الأسلحة والغريب هنا أن بعضاً من دول أوروبا تزود دولاً في المنطقة بالسلاح.

إنّ التغير في توزيع القوة في المنطقة وكذلك في النظام العالمي يمكن أن يقود إلى صدام جديد من المواجهة العسكرية. فالاستقرار في منطقة المتوسط والشرق الأوسط سوف يكون في خطر إذا لم تؤخذ في الحسبان التطورات المستقبلية في السياسة الدولية في الوقت الحاضر والسماح بدخول مفاهيم لنظام سلمي جديد. فإن الاستقرار بين الدول في المنطقة يمكن أن يضمن أو يحمي، لمدى بعيد، إذا ما وافقت هذه الدول في الشرق الأوسط على بنية أمنية شاملة⁶⁵.

أوروبا تريد أن تحل أزمة الثقة بين دول حوض البحر المتوسط وخاصة بين العرب وإسرائيل و هذا ما نلحظه في إعلان برشلونة.

كما أن أوروبا تريد أن تعزز التعاون في مجال الأمن بين دول حوض المتوسط. هذا التعاون لا تريده أوروبا فقط من خلال خطوات بناء الثقة بين الدول في حوض

⁶⁵ Ibid: 18.

المتوسط بل إنّ الأهم من ذلك أن هذا التعاون يجب أن يشكل معايير محددة تربط فيها الفاعلين في منطقة الشرق الأوسط وشركائهم⁶⁶.

فأوروبا في إعلان برشلونة تريد أن تحل النزاعات عن طريق تسويات سلمية وكذلك الحد من التسلح. وهي تريد أن تصل لاتفاقيات وبنود محددة. هذا الطرح نظرحه عن محددات الدور الأوروبي دون أن الإشارة إلى أنها تستطيع أم لا، لأن هذا من اختصاص الفصل الثالث، فأوروبا لديها خيارات أن تكون شريك فيما يتعلق بالأمن وليس فقط كشريك اقتصادي.

الهجرة والأصولية:

يسعى الاتحاد الأوروبي إلى وضع حد لنمو الحركات الإسلامية-التي يصفها أحيانا بالأصولية وأحيانا بالإرهاب، و يعتبرها مصدراً لغياب الأمن والاستقرار في دول المنطقة و يريد الحد من زيادة نشاطها. كما أن أوروبا تنتظر إلى الفقر كأحد العوامل التي تحت وتدفع أفراداً كثيرين تجاه الأصولية. وهذه الأصولية يمكن أن تنتقل إلى أوروبا عن طريق الهجرة الشرعية وغير الشرعية وبذلك تكون مشكلة الدول في الجنوب قد دخلت عقر دار أوروبا لذلك هذه المشكلة تعتبر من الأهداف الأمنية التي يتحرك الاتحاد الأوروبي لحلها في عقر دارها أي دول جنوب البحر المتوسط.

ومن جانب آخر، الصراع العربي الإسرائيلي يعزز من هذه المشكلة الناتجة عن ضعف عربي وقوة عسكرية إسرائيلية لا يمكن أن تهزم في ظل احتلال لأراض عربية.

⁶⁶ Ibid: 20.

كذلك الصراع العربي الإسرائيلي هو من أهم مصادر الأصولية في منطقة شرق المتوسط ولذلك فإن أوروبا تعول بدرجة كبيرة للوصول إلى حل سلمي شامل من أجل الحد منه ووقفه كظاهرة خطيرة.

الحرب الأهلية في الجزائر قد كانت تتردد في قلب أوروبا كما وامتد العنف إلى فرنسا عن طريق عناصر جزائرية مما خلق إحساساً بالصدمة والرعب لدى المواطنين الفرنسيين⁶⁷.

الأمن و عملية "السلام":

إن مفتاح عملية نجاح التعاون والأمن بين الأقاليم في الشرق الأوسط يأتي على قاعدة الاتفاقيات التي أخذت في أوسلو. فإن هذه العملية تستمر لتحقيق تسوية دائمة للصراع بين إسرائيل والعرب أو الدول الإسلامية، فأوروبا هي مركز الاتفاقيات التي عقدت مثل مدريد وأوسلو وأصبحت مشاركة في أي خطوة وفي أي اتفاقية تتعلق بالصراع في الشرق الأوسط، لكن مشاركة أوروبا إلى حد بعيد أو بشكل أساسي تعتمد على المساعدة الاقتصادية. هذا يعكس التزاماً أوروبياً بعملية السلام وأن أوروبا لا تقبل أي تراجع أو فشل لعملية السلام. كما أن الالتزام الأوروبي نجده من خلال توقيع اتفاقية (association agreement) مع دول حوض المتوسط. أما دور الاتحاد الأوروبي السياسي في فلسطين فيعبر عنه بشكل أساسي عن طريق مبعوث الاتحاد الأوروبي الخاص موراتينوس⁶⁸.

⁶⁷ رامازاتي: 16.

⁶⁸ Zopel 1997 : 32.

أوروبا مهتمة "بعملية السلام" في الشرق الأوسط ومحادثات السلام بين إسرائيل والدول العربية. فأوروبا تريد أن يكون لها دور في هذه المرحلة الجديدة وهذا من خلال بناء علاقات مع الأطراف في الصراع. وهذا لا يعني أن أوروبا ليس لها علاقات مع هذه الأطراف بل تريد بناء علاقات من نوع جديد تقوم على توجهات في البحث عن نفوذ أوروبي وتوجيه الأطراف باتجاه إيجاد تسوية. هذا التوجه الأوروبي جعل أوروبا عازمة على جعل الأردن جزءاً من الشراكة الأوروبية - المتوسطية، فالأردن لا تشكل تهديد لأوروبا من ناحية هجرة مثلاً ولا هي ذات موارد طبيعية ونفطية يمكن لأوروبا الاستفادة منها. لكن الاستفادة والمصلحة تجاه الأردن نابعة من المستوى السياسي والأمني بالنسبة لأوروبا. فأوروبا لا تريد إبعاد أي دولة، هي طرف، في الصراع مع إسرائيل وخاصة دول الطوق التي هي مجاورة لإسرائيل وكذلك الأردن يمكن أن تلعب دوراً في تعزيز التوجه نحو التسوية. كان هذا واضحاً من خلال تأييد العاهل الأردني الراحل حسين بن طلال في تقريب وجهات النظر بين الفلسطينيين وإسرائيل في واي ريفر.

مصر والأردن و من خلال عملية السلام قد أسقطنا شبح المواجهة العسكرية مع إسرائيل بالاعتراف بها دولة. فعملية السلام مع كل من مصر والأردن وكذلك الاتفاقات مع الفلسطينيين قد وقعت، وهذا يفتح الباب إلى تغيرات رئيسية في المنطقة، حيث تريد أوروبا الدفع باتجاه هذه التغيرات لان الاحتمال الآخر، وهو الرجوع إلى الصراع، موجود⁶⁹. هذا يؤسس لبنية تحتية لتحقيق سلام دائم وتريد أوروبا دعمه مادياً ودبلوماسياً

⁶⁹ Steinberg 1996: 66, 71.

وسياسيا وإقليميا؛ لأنها ليس طرفاً في المفاوضات الثنائية ومن أجل التحول من حالة الصراع إلى حالة التعاون.

قال مانيويل مارين نائب رئيس الجماعة الأوروبية في المؤتمر الأوروبي الوزارى الثالث في شتوتغارت بألمانيا في 15، 16 ابريل عام 1999: بأن التداخل بين العملية المتوسطية و العملية السلمية في الشرق الأوسط قد صعب من مهمة الإتحاد الأوروبي في إقامة حوار على المستوى الرسمي و الأمني. فإن التقدم في العملية السلمية ينعكس إيجابيا على الشراكة المتوسطية وتقدمها⁷⁰.

خلاصة:

الفصل الأول هذا يطرح صورة شبه كاملة للبحر الأبيض المتوسط في علاقته مع أوروبا (الاتحاد الأوروبي) وما هي الدوافع التي تأتي بالاتحاد الأوروبي إلى المنطقة بثقله الاقتصادي على وجه الخصوص. من خلال الشراكة الأوروبية-المتوسطية فإن الاتحاد الأوروبي أراد أن يخاطب مجمل القضايا التي يراها تشكل خطورة على أمنه في منطقة حوض البحر المتوسط. أهم ما يميز التوجه الأوروبي إلى المنطقة، أنه حتى الآن لم يحاول الفصل بين العلاقة المتداخلة بين الأبعاد المختلفة الاقتصادية، والسياسية، والأمنية، والعسكرية في منطقة حوض البحر المتوسط، بل يحاول الربط بين مجمل القضايا وهذا يعكس وجهته التي يريد تثبيتها وهي فكرة "الإقليمية"؛ فهذا الإقليم هو أقرب الأقاليم على الاتحاد الأوروبي ويؤثر به تأثيراً مباشراً لذلك الحل الوحيد هو التوجه نحو هذا الإقليم من أجل حل جزء من مشاكله، وبهذا يستطيع الاتحاد الأوروبي منع تصدير هذه المشكلة إلى أراضيه، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى يستطيع الاتحاد الأوروبي تحقيق مصلحة وسياسته في هذه المنطقة.

فالساسة الأوروبية المتوسطية تعكس استراتيجية أوروبية شاملة تجاه حوض البحر المتوسط. قد تبدو هذه الشراكة منسجمة مع الهيمنة الأمريكية إلا أنها كما يقول فؤاد نهرا: تنزع إلى سحب البساط من الهيمنة الأمريكية على الشرق الأوسط وحوض البحر المتوسط عن طريق الاقتصاد⁷¹.

⁷¹ نهرا 2001: 258.

الشراكة الأوروبية هي بالأساس مشروع أوروبي تجاه هذا الإقليم من أجل تحقيق مصالح أوروبية بالأساس.

فالاتحاد الأوروبي في تعامله مع هذه المنطقة يعتمد تعدد الأطراف في التعامل مع القضايا العالقة وذات الصلة، لذلك يستبعد استخدام منطق القوة لتحقيق مصالحه، ويعتمد مبدأ الحوار والتعاون المؤسسي الذي بدوره من وجهة نظر أوروبية سينتقل بالمنطقة من حالة الفوضى وعدم الاستقرار والنزاع إلى حالة الاستقرار وتحقيق الأمن.

الفصل الثاني:

الحور الأوروبي والصراع في الشرق الأوسط

تمهيد:

تتظر أوروبا إلى الصراع العربي الإسرائيلي على أنه أحد أهم الأسباب تجاه انعدام الأمن وغياب الاستقرار في منطقة شرق البحر المتوسط، والتي يمتد من خلالها التوتر إلى الشرق الأوسط. ونجد لهذا الصراع تبعات في مناطق ودول مختلفة من العالم كأميركا اللاتينية وأوروبا؛ لذلك تريد أوروبا أن تحمل المنطقة إلى حل لهذا الصراع وبالتالي تحمل أوروبا نفسها إلى بر الأمان من تبعات هذا الصراع.

لم تقف أوروبا مكتوفة الأيدي تجاه هذا الصراع فقد مهدت الطريق إلى لقاءات سرية بين الفلسطينيين والإسرائيليين سياسيين وأكاديميين. وقد نجحت هذه الجهود بالمباركة الأميركية وانطلاق مؤتمر مدريد الذي اختارت فيه الدول العربية السلام كخيار استراتيجي يمكن من خلاله الوصول إلى سلام مع إسرائيل، وبالتالي تحرير الأراضي التي احتلت في حرب حزيران 1967. لكن مؤتمر مدريد الذي همشت فيه أوروبا لصالح الولايات المتحدة لم يحقق إلا مبادئ وتفاهات عامة.

التي كانت ذا خطوة عملية تجاه التسوية هي الخطوة الفلسطينية-الإسرائيلية بتوقيع اتفاقيات أوسلو والتي أعدت لها أوروبا وبذلت تجاهها جهودا جدية وملموسة. أهم تغيير على الساحة الفلسطينية بعد اتفاقيات أوسلو هو مجيء منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات، وميلاد السلطة الفلسطينية من خلال منظمة التحرير. أتت منظمة التحرير إلى المناطق الفلسطينية وفي نيتها بناء دولة. كانت هذه المناطق تعاني من فقر

وبطالة ولا يوجد بداخلها مؤسسات يمكن الانطلاق من خلالها للاستمرار في تحقيق كيان فلسطيني قادر على البقاء. كيف يمكن حل هذه المشكلة والتي إذا لم تحل لن تأتي إلا لزيادة التدهور وفشل السلام ؟ هذه النقطة كانت تدركها الدول وعلى رأسها الدول الأوروبية لتقديم العون والدعم المادي والاقتصادي للسلطة الفلسطينية والمجتمع الفلسطيني.

أوروبا ومتمثلة بالاتحاد الأوروبي تنتظر إلى الصراع الفلسطيني الإسرائيلي على أنه جزء من صراع أكبر وهو الصراع العربي الإسرائيلي، فالنجاح والتقدم تجاه عملية التسوية بين هذين الطرفين سيحد من التوتر في المنطقة حيث أن القضية الفلسطينية هي جوهر الصراع العربي-الإسرائيلي. كذلك التقدم باتجاهها سيعزز أي تفاؤل تجاه الوصول إلى عملية سلمية حقيقية وهذا ما ترغب أوروبا به بل ويجب من وجهة نظرها تحقيقه.

كما ذكرت سابقا فإن الاتحاد الأوروبي ينظر إلى الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي من منظور إقليمي وكذلك ينظر أنه لأوروبا أهداف تجاه هذا الإقليم سبق ذكرها في الفصل الأول من هذه الدراسة. رغم هذه الأهداف العامة تجاه الإقليم إلا أن هناك خصوصية تجاه الفلسطينيين وإسرائيل. إذن ما هي الأهداف التي تريد أوروبا تحقيقها من خلال توجيهها تجاه المناطق الفلسطينية؟ فأوروبا تواجه تحدي بناء دولة فلسطينية والتي تحتاج إلى جهود ليست فقط اقتصادية بل سياسية أيضا.

هذه الدولة المستقبلية يريد لها الاتحاد الأوروبي أن تقوم على التعددية والديمقراطية وبناء مجتمع مدني من خلال دعم المنظمات غير الحكومية في المناطق الفلسطينية، من ناحية

أخرى الصراع الفلسطيني الإسرائيلي يحتاج إلى مواقف سياسية؛ لأنه صراع سياسي. إذا ما أرادت أوروبا تحقيق السلام في الشرق الأوسط.

هذه الأمور تدركها أوروبا، لكنها تريد تحقيق أهدافها بشكل أساسي عن طريق الدعم المادي والاقتصادي؛ لأن تحقيق الاستقرار والازدهار يقود بدوره إلى تقدم أكبر تجاه السلام من خلال الديمقراطية والاستقرار. كذلك الفلسطينيون والإسرائيليون عاشوا فترة طويلة من الصراع والعداء لذلك يحتاج الاتحاد الأوروبي إلى جهود من أجل بناء الثقة بين هذه الأطراف؛ لتسهيل المهمة على الطرفين.

كل ما ذكر أعلاه هو أحد أهداف الاتحاد الأوروبي تجاه منطقة حوض المتوسط والشرق الأوسط بشكل عام. يتبين لنا مما سبق ذكره مدى أهمية هذه المنطقة بالنسبة للاتحاد الأوروبي. ومن هذه النقطة تكرر سؤال هذا الفصل... ما هي طبيعة الدور الأوروبي الذي يريد الاتحاد لعبه ليتناسب مع وضعه الاقتصادي والإقليمي بعد أن سنحت له الفرصة بانطلاق مؤتمر مدريد وما تمخض عنه من اتفاقات بين إسرائيل والفلسطينيين؟ هذه النقطة هامة للحفاظ على الاستقرار في المنطقة. من هنا سنجد تحركاً أوروبياً تجاه هذه العملية "السلمية" من منظور إقليمي وبالتالي تحقيق الأمن الذي تسعى إليه أوروبا لتحقيقه في هذه المنطقة الهامة والحيوية والتي تمثل الفناء الخلفي لدول الاتحاد ولاسيما المتوسطية منها.

الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي والمنحى الإقليمي:

ما الذي يمكن فعله من قبل الاتحاد الأوروبي تجاه الاتفاقيات بين الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني لتعزيز عملية التسوية فيما بينهم. تقول موريل أسبيرغ: إنَّ التزام الاتحاد الأوروبي بعد اتفاقية أوسلو يركز على ثلاثة أبعاد: أولاً، بذل الجهود من أجل استقرار إقليمي والبحث عن حلول متعددة الأطراف. ثانياً، الدعم الاقتصادي والمادي للعملية السلمية. ثالثاً، دعم بناء مؤسسات ودولة فلسطينية¹.

ما يميز إقليم البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط بشكل عام هو أن الغالبية العظمى من دوله تتمتع بقومية واحدة وتتحدث بلغة واحدة وهي الدول العربية. والدول العربية تنظر إلى قضية فلسطين على أنها مشكلة العرب الأولى، وهي تقع في جوهر الصراع العربي - الإسرائيلي. فمثلاً رغم البعد الجغرافي للمغرب عن فلسطين، نرى بأن الرأي العام المغربي يقف جنباً إلى جنب مع ما يحدث في فلسطين، فخلال انتفاضة الأقصى خرج أكثر من نصف مليون نسمة في تظاهرة تأييد للشعب الفلسطيني وكذلك كشجب لإسرائيل وممارساتها. هذا إن عكس شيئاً، فإنه يعكس بأن ما يدور على الساحة بين الفلسطينيين وإسرائيل يؤثر بشكل أو بآخر على منطقة الشرق الأوسط ككل.

ما ذكر أعلاه يشير إلى أنَّ أي لاعب - كالاتحاد الأوروبي - إذا ما أراد تحقيق الاستقرار في منطقة المتوسط، لا يمكن له أن يفصل بين تحقيق الاستقرار والصراع

¹ Asseburg 2004: 174.

الفلسطيني - الإسرائيلي الذي يشكل مصدراً رئيسياً لتصدير التوتر في المنطقة وكذلك إلى دول الاتحاد الأوروبي كفرنسا مثلاً.

فرغم انطلاق عملية السلام في الشرق الأوسط إلا أن الصراع العربي - الإسرائيلي ما زال عقبة في وجه تطور العلاقات والتحول في طبيعتها على اتساع حوض المتوسط، هذا بدوره يفتح المجال أمام طرق عديدة، ومن أطراف أخرى، لتجاوز هذا المأزق على اتساع الإقليم². فإذا ما أرادت أوروبا تجاوز هذا المأزق عليها التحرك الفعال لتجاوزه.

الاتحاد الأوروبي والصراع الفلسطيني - الإسرائيلي:

أوروبا لا تنتظر إلى الصراع الفلسطيني على أنه مفصول عن الصراع العربي - الإسرائيلي، لذلك فجهودها تتعلق أيضاً بأطراف الصراع كسوريا ولبنان ودول الطوق الأخرى كالأردن ومصر. لذلك نجد أوروبا في إعلان برلين 1999 تشير إلى طرفي الصراع الآخرين: "نحن نعتقد بأن السلام في الشرق الأوسط لن يكون شاملاً بدون لبنان وسوريا، ويتوجب معاودة المفاوضات على هذه المسارات نحو الوصول إلى اتفاقية طبقاً لقرارات مجلس الأمن 242، 338"³.

هذا لا يعني أن أوروبا يجب أن تركز جهودها على جميع الأطراف بنفس القوة من أجل الوصول إلى حل شامل، لكن يجب أن تركز جهودها أكثر على من تقدم بخطوة نحو

² أحمد 1996: 88.

³ Berlin European Council, 1 Dec., 1999.

السلام كالخطوة الفلسطينية-الإسرائيلية وتوقيع اتفاقيات أوسلو، وهذا ما سنركز عليه بشكل أساسي في هذا الفصل. لكن في هذا المبحث سأركز على الصراع بشكل عام ومن خلال الجهود الأوروبية تجاهه.

من ناحية سياسية، يرى الاتحاد الأوروبي بأن حل الصراع في منطقة شرق المتوسط يأتي من خلال حل شامل ومتعدد الأطراف. هذا الحل يجب أن يشمل جميع الدول ذات الصلة المباشرة في الصراع وخاصة دول الطوق وعلى رأسهم الفلسطينيين وسوريا ولبنان والتي احتلت أجزاء من أراضي الأخيرتين وكل الأراضي الفلسطينية منذ عام 1967. ويرى الاتحاد الأوروبي بأن هذا الحل الشامل سيجعل من إسرائيل دولة عادية في المنطقة يمكن لها أن تبني علاقات ثنائية مع الدول العربية التي تحيط بها، وكذلك الدول العربية الأخرى. فدون حل شامل، والاعتماد على حلول جزئية، لن تحل أوروبا المشكلة الجوهرية التي يمكن أن تتفاقم في أي مكان وزمان.

فالأطراف في الشرق الأوسط عاشت وما زالت تعيش حالة من الغموض والتشكك تجاه بعضها البعض، وكذلك تسيطر عليهما عدم الثقة. لذلك إذا ما أريد للسلام أن يتحقق بين هذه الأطراف أو على الأقل إذا ما جلسوا على طاولة واحدة فإن هذا لن يأتي إلا من خلال جهود مبذولة من طرف ثالث. نرى بأن الولايات المتحدة تفعل القليل تجاه السلام في الشرق الأوسط مقارنة بدورها الوسيط والرئيس في عملية التسوية في الشرق الأوسط. من هنا نرى بأن الاتحاد الأوروبي يريد أن يقوم بخطوات تجاه هذه الأطراف المتصارعة؛ لجمعهم على

طاولة أو مائدة واحدة من أجل الحوار وبناء الثقة، فهو معني بتحقيق الاستقرار أكثر من الولايات المتحدة في هذه المنطقة.

المفاوضات المتعددة الأطراف:

الهدف من سياسة الاتحاد الأوروبي في الشرق الأوسط لا يعود بظاهره للتحيز لدولة واحدة وعلى وجودها وأمنها دون الأخذ بعين الاعتبار مصالح الدول الأخرى وأمنها كالعلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل، بل الهدف من سياسة الاتحاد هو إطار متعدد الأطراف بل جميع الأطراف في الشرق الأوسط لتعزيز الحوار السياسي والتعاون الأمني بين الاتحاد ودول حوض المتوسط. فالإتحاد الأوروبي قلق تجاه الاستقرار والأمن الإقليميين.

لم يعتمد الاتحاد الأوروبي على المحادثات المتعددة الأطراف ومجموعة العمل الناتجة من مؤتمر مدريد بل أراد المبادرة المتوسطية حتى يكون طرفاً في هذه المحادثات لوضع إطاراً جديداً لعلاقات السلام والتعاون⁴. رغم أن الشراكة الأورومتوسطية لا تعتبر طرفاً في عملية السلام في الشرق الأوسط (بين الفلسطينيين وإسرائيل) إلا أن هذه الاتفاقية قد تطرقت إلى القضايا التي تتعلق بالصراع العربي - الإسرائيلي وكذلك إلى القضايا التي يجب أن تناقش في المحادثات المتعددة الأطراف⁵. من خلال هذه الحوارات يهدف الاتحاد الأوروبي إلى بناء الثقة بين إسرائيل والأطراف العربية وعلى رأسهم الفلسطينيين من أجل التقدم تجاه

⁴ النواوي 2000: 109.

⁵ Europe 25/26 Nov. 1995. <http://europa.eu.int/comm/external_relations/euromed/bd.htm>

اتفاقيات أوسلو، حيث يمكن أن تكون الاجتماعات آلية؛ لتسهيل الحوار الفلسطيني-الإسرائيلي. فقبل مصلحة الفلسطينيين، هناك مصلحة إقليمية، لكن تحقيق أي منها قبل الأخرى من المستحيل تحديده، لذلك تتداخل المسارات مع بعضها البعض هي السمة الغالبة.

هدفت أوروبا من الشراكة الأوروبية - المتوسطية فتح باب الحوار بين الدول الأعضاء تجاه منطقة الصراع، هذا بدوره سيفسح المجال للقاءات مطولة بين ممثلين رفيعي المستوى من كلا الطرفين، هذا من جانب، ومن جانب آخر مناقشة القضايا الأخرى التي تهدف أوروبا إلى حلها. من خلال هذا كله تصل أوروبا إلى درجة من تعدد الأطراف "multilateralism" في المنطقة⁶.

هذا يتخلله دعم توجه؛ لدعم عملية السلام بين الأطراف، فالاتحاد يقوم بدعم السلطة الفلسطينية، لأن سقوطها يعني درجة كبيرة من العنف ستبدأ وستأتي على نهاية عملية السلام المتمخضة عن اتفاقيات أوسلو وكذلك مدريد.

الاتحاد الأوروبي وفي بحثه عن إيجاد استقرار إقليمي و حلول شاملة كان نشيطاً ومركزاً على جبهتين. الأولى هي الشراكة الأوروبية-متوسطية كأداة _ ليس على سبيل الحصر _ للاستقرار الإقليمي، والثانية هي: جبهة مجموعة العمل المنبثقة عن مؤتمر مدريد كواحدة من خمس مجموعات عمل. لكن سنركز على الجبهة الأولى؛ لأنها أوروبية بالأساس⁷.

⁶ Perthes 2000: 53.

⁷ Asseburg 2003: 16.

فهذه الشراكة أتت كمكملة لعملية السلام في الشرق الأوسط، وهي تريد أن تنطلق من أجل تعزيز هذه العملية عن طريق الحوار متعدد الأطراف حتى يحصد نتائجه في المحادثات الثنائية. فالعملية السلمية وبعد اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق إسحاق رابين وتسلم حزب الليكود الحكم في إسرائيل قد عثر عملية السلام. هذه الشراكة قد أرادت دفع عملية السلام إلى الأمام، وهذا نراه من خلال معاملة السلطة الفلسطينية كشريك مع الاتحاد الأوروبي، حيث تريد أوروبا التأكيد على حق تقرير المصير للفلسطينيين ولكن لأول مرة بخطوات عملية وملموسة. من ناحية أخرى جعل إسرائيل دولة لا يمكن رفضها من جانب الدول العربية المتوسطة كطرف يجب الحوار معه، وهكذا تكسر العزلة التي تعيشها إسرائيل في المنطقة.

المسار الفلسطيني-الإسرائيلي والمفاوضات المتعددة الأطراف:

هناك علاقة مباشرة بين ما يدور حول عملية التسوية الناتجة عن اتفاقيات أوسلو وبين ما يدور على المسار المتعدد الأطراف. فالمفاوضات المتعددة الأطراف هدفت منها أوروبا أن تكون منبراً حيوياً بحيث يسمح للأعداء السابقين والحاليين بتبادل الآراء والمعلومات كجهد انتقائي يبذل لمنع صراع مفاجئ أو زيادة وتيرة الصراع⁸.

فالصراع الفلسطيني-الإسرائيلي يعتبر واحداً من أكثر العقبات تعقيداً في وجه الشراكة الأوروبية المتوسطة. فمنذ فترة رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق بنيامين نتنياهو،

⁸ Steinberg 1996: 171:

والاتفاقيات الموقعة متعثرة بين الطرفين. هذه الفترة أثرت على اللقاءات متعددة الأطراف التي تحت عليها الشراكة، والتي ترى بأن لقاءات بناء الثقة بين الأطراف لا يمكن أن تتم بمعزل عن عملية سلمية وحوار سلمي بين الأطراف، وكذلك بحل سياسي يعالج جوهر المشكلة في منطقة شرق حوض البحر المتوسط. فتعثر العملية السلمية أدى إلى غياب بعض الأطراف عن اللقاءات التي تتم تحت رعاية أوروبية. فمثلاً غابت كل من مصر وسوريا ولبنان عن اللقاءات احتجاجاً على الرد الإسرائيلي التعسفي على الانتفاضة الفلسطينية (انتفاضة الأقصى)⁹.

التأثير الأوروبي على مجرى المفاوضات بين الإسرائيليين والفلسطينيين كان وما زال محدوداً جداً، لكن المجال لدى أوروبا أكبر على المستوى المتعدد الأطراف ولديها القدرة في التأثير أو الضغط المحدود؛ لما لهذين الطرفين من علاقات و اعتمادية اقتصادية مع الاتحاد الأوروبي ودوله¹⁰.

من خلال ما سبق في هذا المبحث فإن أوروبا، متمثلة بالاتحاد الأوروبي، تسعى إلى حل الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي كجزء من الصراع العربي الإسرائيلي الذي يمثل هذا الأخير رافداً من روافد غياب الأمن والاستقرار في الإقليم. لكن السؤال هنا ما الذي قامت أوروبا بفعله لإنجاح اتفاقيات أوسلو ومجيء السلطة كي يكون مفتاحاً لحل الصراع ككل، من

⁹ Asseburg 2004: 174.

¹⁰ Asseburg 2003: 9.

الناحيتين السياسية والاقتصادية، لكن هذا التوجه لأوروبا يهدف أيضاً لتحقيق الأهداف الأوروبية التي تريد تحقيقها من أجل الاستقرار القابل للاستمرار.

الدور الاقتصادي تجاه المناطق الفلسطينية:

مع توقيع اتفاقيات أوسلو وبدء المفاوضات بين الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني معتمدةً على الاعتراف المتبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في أيلول/سبتمبر 1993، أراد الاتحاد الأوروبي أن يقتنص هذه الفرصة، حيث كان منشوقاً للمشاركة؛ لدعم عملية السلام. ففي الفترة الانتقالية والتي حددت حسب اتفاقية أوسلو، ركز الاتحاد الأوروبي جهوده على الدعم الاقتصادي من أجل خلق بيئة مناسبة كي يدوم السلام في الإقليم. لكن الاتحاد الأوروبي، وعلى الأقل في بداية عملية التسوية، لم يساهم بشكل مباشر في الحل السياسي بين أطراف الصراع، حيث حافظ الاتحاد على دوره كمكمل ومتوازي مع المفاوضات السياسية الثنائية على المستوى الرسمي¹¹.

فأوروبا كلاعب تاريخي في الساحة الدولية ومنها الشرق الأوسط، أرادت أن تلعب دورها كقوة اقتصادية وبحكم موقعها الجغرافي والإقليمي وما يترتب عليه من تأثيرات اقتصادية وسياسية واجتماعية. فلذلك دخلت أوروبا بشكل أو بآخر عملية السلام كمكمل لا معارض للدور الرئيس للولايات المتحدة في حل الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي. من هنا

¹¹ Asseburg 2004: 175.

وجدت أوروبا الباب الاقتصادي دون التخلي عن الأبواب الأخرى للعب دور اقتصادي في العملية السلمية كدعم الانتخابات الفلسطينية عام 1996¹².

"الدولة الفلسطينية" في طور الإنشاء لذلك نرى الاتحاد الأوروبي يلعب دوراً كبيراً على المسار الاقتصادي على الساحة الفلسطينية؛ لأن مصلحة أوروبا إقامة دولة فلسطينية لإنهاء الصراع الفلسطيني الإسرائيلي الذي يشكل مفتاحاً لحل الصراع العربي - الإسرائيلي والذي يشكل جزءاً من النزاعات التي تتوجه نحوها أوروبا في إقليم المتوسط.

فالاتحاد الأوروبي من خلال هذا المسار الاقتصادي يريد خلق واقع يختلف في تحقيقه عن هدف الولايات المتحدة التي يهتما فقط بقاء وقوة إسرائيل، والتي تريده أوروبا إلى جانب الاستقرار والسلام الشامل¹³. لكن أوروبا تواجه تحدياً حيث إن المناطق التي أتت عليها السلطة الفلسطينية هي مناطق شبه مدمرة والناجمة عن تصرفات الاحتلال وخاصة في فترة الانتفاضة الفلسطينية الأولى من عام 1987 حتى 1994. حيث سياسة مصادرة الأراضي الفلسطينية من قبل إسرائيل، والاستخدام الضئيل للماء من قبل الفلسطينيين والمستويات المنخفضة من قبل الاستثمار العام والخدمات الاجتماعية المشروطة، وحكومة محلية ضعيفة، وقطاع مصرفي ومالي ضعيف، ونظام إداري وتنظيمي وقانوني ضعيف. ميراث هذه السياسات سيكون له انعكاسات جادة بعد عام 1994 والتي ستواجهها السلطة الفلسطينية والمناحين على حد سواء¹⁴.

¹² مصطفى 1999: 139.

¹³ Perthes 2000: 38.

¹⁴ Brynen 2000: 40.

الدعم المادي والاقتصادي:

طالما توجهت أوروبا نحو الشرق الأوسط كطرف "متكامل" أو "موحد" مع أطراف دولية أخرى للمساعدة في إنهاء النزاع الفلسطيني-الإسرائيلي ولكن ليس كمنافس، وذلك نتيجة للإيمان بأن الدور الأوروبي في المنطقة يجب أن يكون داعماً لعملية السلام وليس كدور مباشر كالقوة الرئيسية المعنية. لذلك اهتمت أوروبا بالتوجه نحو الأطراف المختلفة في المنطقة ولم تقتصر على المضمار الفلسطيني الإسرائيلي.

وللقيام بالدور السابق والمرغوب به من قبل الأوروبيين، توجهت القيادات الأوروبية نحو استغلال ما تملكه من مقومات مختلفة لخلق استقرار في المنطقة وذلك بتبني سياسة الدعم المادي والاقتصادي لأطراف النزاع وخاصة الطرف الفلسطيني الذي انخفض دخله بشكل كبير نتيجة لقلّة الاستثمار والذي يعتبر كنتيجة ضمنية لعدم الاستقرار السياسي ورغبة رأس المال في تجنب هذه الظاهرة. فقد تبنت أوروبا إعادة بناء مؤسسات فلسطينية وبناء مؤسسات جديدة ودعمها في مناطق الحكم الذاتي الفلسطيني.

في الفترة ما بين عامي 1994-2000، ركز الاتحاد الأوروبي على الدعم المادي والدعم الاقتصادي. فكانت الدول الأعضاء في الاتحاد هي أكثر الداعمين والمانحين مادياً وتقنياً للسلطة الفلسطينية والعملية السلمية بشكل عام. هدف هذا الدعم خلق واقع ملموس للشعب الفلسطيني، وبالتالي تحييد المواقف "الراديكالية" كما تسميها أوروبا عن طريق تحسين

الظروف المعيشية للشعب الفلسطيني¹⁵. أوروبا هنا تعكس توجهها الإقليمي بحيث تعتبر ما تسميه الأصولية أو الإرهاب هو نابع من واقع سياسي وكذلك، سوء وتدهور الظروف الاقتصادية. فهذه الحركات الراديكالية تأخذ من الظروف السياسية والاقتصادية القاسية كمطلق لحشد التأييد لمواقفها وتوجهاتها. فإذا ما تحسنت هذه الظروف على الصعيدين السياسي والاقتصادي فسيتم مباشرة تحديد هذه الحركات عن اللعبة السياسية إلى حد ما. فتحديد الحركات الراديكالية يتناسب طردياً مع التقدم على المستوى السياسي والعملية السلمية إلى جانب تحسين الظروف المعيشية للفلسطينيين.

دعم الاتحاد الأوروبي للسلطة الفلسطينية هو دعم بشكل أساسي للعملية السلمية أي الاتفاقات الموقعة، وهذا الدعم هو جهد لدرء المخاطر الآتية من الأطراف الراضية لهذه الاتفاقات بشروطها¹⁶. كذلك تريد أوروبا أن تجعل الشعب الفلسطيني يشعر بعملية السلام على الأرض. قال ممثل هولندا في المناطق الفلسطينية: "كانت الفكرة تقوم على الأهمية البالغة لدعم العملية السلمية وذلك بتحسين ملموس لأوضاع الفلسطينيين الذين سيرون أن العملية السلمية ليست مجرد عملية بين الزعماء، وإنما هي تطبيق على أرض الواقع"¹⁷.

الاتفاقات التي أبرمت مع الاتحاد الأوروبي وفق اتفاق التعاون الاقتصادي والتجاري الفلسطيني-الأوروبي للمرحلة الانتقالية الموقعة عام 1997 وتداعياته القانونية والتنظيمية

¹⁵ Asseburg 2004: 175.

¹⁶ نهرا 2001: 176.

¹⁷ الفاصد 1998: 41.

والإجرائية أتت بغية تقديم العون الفني لصانعي القرار الفلسطيني في القطاعين الرسمي والأهلي؛ لتحسين قدراتهم على الوصول إلى الأسواق الأوروبية، وكسر الاحتكار الإسرائيلي للتجارة الخارجية الفلسطينية. وباعتبار ذلك أيضاً ضرورة موضوعية للتواءم التدريجي مع مبادئ وقوانين منظمة التجارة العالمية لتحرير التجارة الفلسطينية، ولتهيئة الاقتصاد الفلسطيني للاندماج مع المحيطين الإقليمي والدولي¹⁸.

الاتفاقية الانتقالية الموقعة عام 1997 تسمح للسلع الفلسطينية بدخول الاتحاد الأوروبي دون رسوم جمركية باستثناء بعض المنتجات لقطاع التصنيع الزراعي. كما أن السلطة الفلسطينية تفرض الرسوم الجمركية على سلع الاتحاد خلال خمس سنوات، هذا يبين بأن العلاقة هي معاملة تفضيلية في التجارة بين الاتحاد والمناطق الفلسطينية¹⁹.

مساندة أوروبا لعملية السلام تعتبر مساعدة مباشرة ومادية وهي أهم المصادر الممولة بالنسبة للفلسطينيين، فقد خصص الاتحاد الأوروبي ما يزيد عن 2 بليون يورو في الفترة ما بين 1994 إلى 1998، وهذا من خلال مسالك عدة: من الاتحاد الأوروبي ومن الدول الأعضاء كل على حدة كبلجيكا وفرنسا. وكذلك من هيئة القروض في بنك الاستثمار الأوروبي وكذلك على هيئة مساعدات للاجئين الفلسطينيين مقدمة من خلال وكالة الأمم المتحدة الأنروا (UNRWA). في ديسمبر 1998، قام المجلس الأوروبي بتخصيص 50 مليون إيكو سنوياً للفلسطينيين وذلك من عام 1999 حتى عام 2003 بالإضافة إلى قروض

¹⁸ كنفاني 2000: i.

¹⁹ المرجع السابق: 25-26.

بنك الاستثمار الأوروبي والمساعدات الإنسانية الأخرى. ونتيجة لاتفاقية الشراكة الأوروبية المتوسطية خصص الاتحاد 4.7 بليون ايكو في فترة 1995 و 1999 لمساعدة إنشاء البنية التحتية وكذلك الإصلاح المالي²⁰.

دعم المؤسسات والسلطة الفلسطينية:

أوروبا ومنذ تأسيس السلطة الفلسطينية قامت بدعم هذه السلطة وساعدت بشكل كبير في بناء مؤسسات السلطة. هذا الدعم كان من أجل عدم انهيار هذه السلطة. فقد ساعدت مادياً وفنياً تجاه وزارات السلطة الفلسطينية وكذلك مؤسسات السلطة كمرکز الإحصاء ومبنى الإذاعة والتلفزيون بالإضافة إلى مراقبة وتحضير الانتخابات الفلسطينية عام 1996. فمن خلال الدعم الأوروبي الثمين لميزانية السلطة الفلسطينية تجنبت السلطة انهيار مبكر²¹.

تقول موريل أسبيرغ: إن الاتحاد الأوروبي ركز على دعم ميزانية السلطة الفلسطينية وجعلها أكثر اعتمادية على المانحين رغم أن السلطة يمكن أن تسد جزءاً كبيراً من عجز ميزانيتها من خلال الضرائب وكذلك من عائدات الضرائب الآتية من إسرائيل. فالإتحاد الأوروبي كان قادراً على تركيز جهوده على مساعدات التنمية وليس على التحويل المباشر لميزانية السلطة الفلسطينية²².

²⁰ النواوي 2000: 109.

²¹ Asseburg 1998: 21.

²² Asseburg 2004: 176.

أوروبا قامت بدعم المناطق الفلسطينية من أجل تحسين الظروف الاقتصادية للسكان الفلسطينيين. هذا الدعم وبشكل أساسي تركّز بعد عام 1993 أي بعد اتفاقيات أوسلو، فقامت أوروبا بمشاريع من أجل بناء أو إنشاء بنية تحتية في المناطق الفلسطينية مثل شبكات الطرق والآبار المائية ومطار رفح وميناء غزة بالإضافة إلى المستشفيات والمدارس²³، فمثلاً تم ترميم وافتتاح بناية النساء في مستشفى بيت لحم للأمراض النفسية عام 1991²⁴، هذا المشروع هو مشروع يمثل مساعدة تجاه التنمية وهو ما تشير إليه أسبيرغ.

فأوروبا كانت تركّز على القطاع العام في تمويلها، وهذا لم يحل المشكلة؛ لأنها كانت تحل مشكلة البطالة فقط عن طريق منح الرواتب وليس من أجل بناء مؤسسات لحل المشكلة من جذورها. كذلك كل القطاعات الفلسطينية كانت بحاجة إلى دعم. وكانت حاجة القطاعات الفلسطينية المختلفة للمساعدة كالميزانية و الصحة والتعليم أكثر من التوقعات التي كان يضعها مثلاً البنك الدولي. وهذا يعود إلى اعتماد الاقتصاد الفلسطيني على إسرائيل حيث مع مجيء صيف عام 1996 كان هناك حاجة لدعم خطط تشغيل و إيجاد فرص نتيجة الإغلاق الإسرائيلي. وهذا جعل من الدول المانحة غير قادرة على المنفعة من هذه المعونات لتستخدم بعضاً من أجل توجيه المعونة للطريقة التي يهدفون إلى تحقيقها²⁵.

²³ Asseburg 2004: 176.

²⁴ European Union Nov. 2001: issue 5.

²⁵ Brynen 2000: 40.

الاقتصاد الفلسطيني وإسرائيل:

رغم كل الجهود التي تقوم بها أوروبا من أجل خلق نوع من الاعتماد على نفسها إلا أن الإقتصادية ذات الجانب الواحد من قبل المناطق الفلسطينية على إسرائيل لم تنخفض في الفترة الانتقالية، فمثلاً تعتمد السلطة على تشغيل عشرات الآلاف من الفلسطينيين الذين يعملون داخل إسرائيل وعمل هؤلاء العمال كثيراً ما يتعطل بسبب الظروف السياسية مما يرفع مستوى البطالة إلى مستويات عالية جداً.

فالسلطة الفلسطينية لم تستطع وضع تنمية ذاتية بسبب الاعتماد على إسرائيل. الاقتصاد الفلسطيني، إلى حد بعيد، مرتبط مع الاقتصاد الإسرائيلي كما أن إسرائيل كانت دائماً تريد من الاقتصاد الفلسطيني أن يتكامل ويعتمد على الاقتصاد الإسرائيلي. فمثلاً إسرائيل لا تريد أي منافس فلسطيني لشركات إسرائيلية. ولو حدث ذلك فهذا يجعل إسرائيل تستخدم الإغلاقات والحواجز الجمركية ومناطق العبور؛ لإعاقة الشركات والمصانع الفلسطينية. هذا يضر بالتنمية في المناطق الفلسطينية وهذا كان يزيد العبء على المانحين مثل أوروبا. من ناحية أخرى التنمية الاقتصادية متدنية في المناطق الفلسطينية من ناحية بنية اقتصادية وقطاع مالي وقاعدة صناعية. فالاعتماد على إسرائيل و التكامل معها مع التكاليف العالية قد خفض الوفرة في مدخلات الإنتاج الذي يحتاجها الاقتصاد للنمو وتنمية عناصر إنتاجية رئيسية للاقتصاد الفلسطيني، في الزراعة والتصنيع والخدمات²⁶.

²⁶ Brynen 2000: 44.

هذا الوضع في المناطق الفلسطينية هو كما يقول "ريكس براين": ناتج عن سياسات إسرائيلية متعمدة. ويمكن لإعادة بناء هذا الوضع بالنسبة للقيادة الفلسطينية إذا كان هناك خيارات للسياسات البديلة، وكذلك ظروف سياسية مهيأة. لكن الميراث الاقتصادي الفلسطيني المعتمد على الاقتصاد الإسرائيلي والواقع السياسي والتكامل والاعتماد على اقتصاد إسرائيل قد فرض منطقاً قوياً وهو أن الخيارات للسياسات الاقتصادية محدودة لصناع القرار الفلسطينيين بعد أوسلو²⁷.

إضافة إلى ذلك، فإن غياب سيادة القانون في مناطق السلطة الفلسطينية لم يشجع الاستثمار من قبل المشاريع الاستثمارية الخاصة، وبذلك توجهت الاستثمارات العامة إلى قطاعات غير إنتاجية مثل التشغيل في القطاع العام. والنتيجة لذلك أن دخل الفرد في الفترة الانتقالية برغم المعونات الأوروبية لم يصل إلى معدل دخل الفرد قبل مجيء السلطة الفلسطينية²⁸.

أوروبا كانت وما زالت من أكثر الداعمين للسلطة الفلسطينية، لكن في الفترة الانتقالية كان الدعم الأوروبي غير موجه بالشكل الصحيح، وكذلك لم تكن هناك رقابة أوروبية على الأموال التي تمنح للسلطة الفلسطينية، و لم يكن هناك تنسيق جدي بين المانحين و السلطة، وكأن أوروبا هدفت من الدعم للمؤسسات الرسمية تجنب انهيار السلطة فقط. فقد تفشى الفساد في المؤسسات الحكومية كالنار في الهشيم. فكانت المحسوبية أي "الواسطة" التي أصبح يسميها

²⁷ Ibid: 44.

²⁸ Asseburg 2004: 176.

الفلسطينيين "فيتامين و"، حيث أصبحت "الواسطة" العنصر الرئيسي من أجل العمل في المؤسسات الحكومية لكثير من الموظفين. كذلك لم يكن هناك شفافية في عملية صرف الأموال من قبل السلطة الفلسطينية.

قررت الهيئة الأوروبية مع بداية عام 1995_ وذلك بناء على العدد الكبير من المانحين_ بأنها ستركز الدعم على بعض القطاعات. ولأن علاقتها قوية مع السلطة الفلسطينية ومن أجل دعم هذه الأخيرة كجهاز يحمي الأمن ومركز للإدارة في المناطق الفلسطينية، لذلك كان تركيز الدعم الأوروبي على تقديم المساعدة المادية والفنية للوزارات والبلديات. لكن وبعد عامين من دخول السلطة فلم تشهد المناطق الفلسطينية تنمية اقتصادية بحيث كان هناك زيادة في انخفاض الدخل بالإضافة إلى زيادة في نسبة البطالة. هذا لا تتحمله السلطة الفلسطينية أو الاتحاد الأوروبي بل العلاقات مع الجانب الإسرائيلي، حيث تضرر إلى حد كبير قطاع العمالة الفلسطيني داخل إسرائيل بالإضافة إلى حجز عائدات الضرائب من قبل الجانب الإسرائيلي وهذا عاد بآثره على الواردات والصادرات المنخفضة نتيجة الاغلاقات الإسرائيلية للمناطق الفلسطينية²⁹.

السلطة الفلسطينية وكذلك المناطق الفلسطينية كانت دائما بحاجة إلى الدعم الخارجي كالدعم الأوروبي والياباني وغيره. لكن الإجراءات الإسرائيلية، جعلت من المناطق الفلسطينية أكثر اعتمادا على المنح الخارجية. هذا بدوره جعل من المناطق الفلسطينية هشة تنمويًا

²⁹ الفاصد 1998: 42-43.

واقتصاديا ولا تتحمل أي هزة. بالإضافة إلى أن المناطق الفلسطينية محتلة من عام 1967 وهذا جعل من الاقتصاد الفلسطيني يهيئ كما يريده الاحتلال ويخدم اقتصاد الاحتلال، من ناحية الإنتاج، وكذلك الاستهلاك. هذا على عكس إسرائيل والتي تعتمد على الولايات المتحدة من ناحية الدعم المادي والاقتصادي، لذلك كان اعتمادها على الدعم الأوروبي لا يشكل كثيرا من الناتج القومي الإجمالي. فإن التصدير والاستيراد من المناطق الفلسطينية تشكل أكثر من 80% من حجم الصادرات والواردات إلى ومن إسرائيل عام 1992³⁰.

أوروبا وعلى مسار الدعم الاقتصادي لم يكن دعمها وعلاقاتها الاقتصادية مقتصرة على الجانب الفلسطيني الذي وصل الدعم له إلى 53% من مجموع الدعم للسلطة الفلسطينية، من ناحية أخرى فالاتحاد الأوروبي يتمتع بعلاقات اقتصادية مع إسرائيل والتي تمتعت منذ نشأتها بعلاقات اقتصادية تفضلية مع الدول الأوروبية كما أن هذه العلاقة تحسنت بعد توقيع اتفاقيات أوسلو وكذلك الشراكة الأوروبية - المتوسطية بين إسرائيل والاتحاد الأوروبي فإن 70% من حجم التجارة الخارجية الإسرائيلية تتم مع دول الاتحاد الأوروبي³¹.

لكن أوروبا ومن خلال دورها هذا تريد خلق واقع تختلف في تحقيق أهدافه عن الولايات المتحدة التي همها الأول بقاء وقوة إسرائيل في المنطقة، ورغم أن هذه النقطة أي بقاء وقوة إسرائيل هو أولوية أوروبية، إلا أن الاختلاف هو أن أوروبا تريد تحقيق استقرار

³⁰ Brynen 2000: 40.

³¹ مصطفى 1998: 142.

وسلام شامل³². لذلك اهتمت أوروبا بدعم السلطة لأن زيادة الفلسطينيين فقراً، نتيجة السياسات الإسرائيلية، لن يحقق استقرار في فلسطين.

الدعم للمجتمع المدني والعملية الديمقراطية:

لم تقتصر المنح والمعونات الأوروبية فقط تجاه السلطة الفلسطينية ومؤسساتها الرسمية. لكن تريد أوروبا تحقيق أهداف من خلال الدعم المادي التي تقدمه إلى المناطق الفلسطينية. فالاتحاد الأوروبي يريد مجتمعاً مدنياً يحترم القانون وحقوق الإنسان وتعزيز الديمقراطية الجنيين في المناطق الفلسطينية. فأوروبا لا تريد التحول من احتلال إلى نظام سلطوي لا يختلف من وجهة نظرها من ناحية تحقيق الاستقرار.

المنظمات غير الحكومية:

أحد أهم أهداف الاتحاد الأوروبي تجاه المناطق الفلسطينية بعد مجيء السلطة الفلسطينية إليها، هو تحقيق الديمقراطية داخل المجتمع الفلسطيني. فهذه الديمقراطية لا تأتي بالتمني، بل تحتاج إلى إجراءات ومؤسسات لدعمها. فأوروبا تريد تحقيق هدفين في وقت واحد رغم تناقضهما الواضح على الساحة الفلسطينية. الأول وكما ذكرنا تعزيز ودمج السلطة الفلسطينية كقوة إدارية رئيسية للحفاظ على الأمن والاستقرار داخل المناطق الفلسطينية. والهدف الثاني هو تقوية المجتمع المدني وتفعيل المشاركة الشعبية والتي مردها تحقيق الديمقراطية؛ لتعزيز المجتمع المدني ركزت الدول المانحة وكذلك الاتحاد الأوروبي على دعم

32 Perthes 2000: 38.

المنظمات غير الحكومية. فانتشرت المنظمات غير الحكومية بشكل واسع في المناطق الفلسطينية. بهذه الطريقة يتم تقليل الاعتماد إلى حد ما على السلطة الفلسطينية وعلى القطاع العام.

تقول باومغرتن: إن على الرغم من أهمية الدعم للمنظمات غير الحكومية إلا أن هذه المنظمات موجودة وكذلك فعالة في المناطق الرئيسية والحضرية من المناطق الفلسطينية كالقدس وبيت لحم ورام الله واقصد هنا المدن من هذه المناطق. ولم نشهد هذا الدعم باتجاه المناطق النائية والمهملة³³.

الهدف من هذه المنظمات غير الحكومية هو تفعيل المشاركة؛ لأنها قائمة على أساس ما يعرف بالمنظور الوظيفي، وهي تهدف لإشراك شرائح مختلفة من المجتمع الفلسطيني من أجل تغيير بنيوي جوهري. رغم هذه الأهداف إلا أننا نجد بأن هذه المنظمات لم تعمل على تحقيق هذه الأهداف من أجل إشراك جميع شرائح المجتمع³⁴. هذا يتأكد من خلال ما ذكرته باومغرتن وهو أن هذه المنظمات ليس لها فروع في المناطق المختلفة، لذلك لن تحقق الأهداف المرجوة منها. من ناحية أخرى، نجد السلطة الفلسطينية قد أقامت وزارة للمنظمات الأهلية، قد تبرر ذلك من قبل السلطة بحيث تنظم عملها وفعاليتها ووصولها إلى المناطق المختلفة. لكن هذا لم يتم، فإذن ما هو السبب لإنشاء مثل هذه الوزارة.....؟ هل هو من أجل المشاركة في بعض الأموال التي تتلقاها هذه المنظمات وبالتالي تسهيل بعض الإجراءات لهذه

³³ Baumgarten 1998: 48.

³⁴ كرزوم 1999: 104.

المنظمات غير الحكومية...؟! هذه النقطة تحتاج إلى بحث والتي يمكن من خلالها إيجاد الإجابات الكافية.

لم يقتصر دعم الاتحاد الأوروبي على دعم مشاريع المجتمع المدني في المناطق الفلسطينية، بل أيضاً أراد دعم مشاريع مجتمع مدني مشتركة بين الفلسطينيين والإسرائيليين من أجل الوصول إلى مصالحة بين الطرفين. لم يحقق الاتحاد الأوروبي هذه الأهداف على صعيد الشعبين، حيث ربما غيرت فقط هذه المشاريع المشتركة على تغيير مواقف الأفراد المشاركين من كلا الطرفين، ولم تتوسع لتشمل السكان من الطرفين ولا على القيادة في كلا الطرفين. هذا يعود إلى طبيعة العلاقة غير المتناسقة بين المحتل (إسرائيل) والمحتلين (الفلسطينيين) والتي سيطرت على الحياة اليومية للشعبين. من ناحية أخرى فإن هذه المشاريع ترتبط بالعلاقة السياسية بين الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني والتي قد تدهورت مع اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين³⁵.

لكل ما سبق، إضافة لقناعات القادة الأوروبيين، إن دعم مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع المدني سيعمل على زيادة الاستقرار في المنطقة والعكس صحيح، وإن كان على مدى أبعد نسبياً، فقد ساندت أوروبا في الجانب السياسي مطالب الفلسطينيين _ على الأقل المطالب الحالية _ بحق تقرير المصير، وهذا ما تمت الموافقة عليه في إعلان البندقية³⁶. أما في الجانب الاقتصادي والذي لا يخلو من جوانب سياسية وأمنية فقد قدمت أوروبا للسلطة

³⁵ Asseburg 2004: 177.

³⁶ Venice European council, 12-13 June 1980.

الفلسطينية دعماً فعالاً ومناسباً في جميع المجالات والانتخابات التي أفرزت قيادة فلسطينية تمتعت في البداية بأدوار لكل من السلطات الثلاث، إلا أن بعد مرور سنتين تقريباً وفي عام 1998 تلاشى الدور الذي لعبته السلطة التشريعية لصالح السلطة التنفيذية وكذلك الأمر بالنسبة للسلطة القضائية.

وبالتالي توجهت أوروبا نحو المطالبة بالإصلاح وتوزيع الصلاحيات والاختصاصات وتقاسمها بين السلطات الثلاثة وعدم اقتصرها على الرئيس عرفات وزمرته، وذلك نتيجة الإيمان بأن النظام السلطوي سيعمل على خلق بنية مضطربة، لذلك قامت أوروبا بالضغط على السلطة الفلسطينية والمسؤولين المحليين الذين لهم مصلحة في تحقيق الأهداف الوطنية، لخلق قوى محلية شرعية تكون أكثر قبولاً عند الشركاء والمانحين الدوليين بعد ملفات الفساد المالي والإداري، حيث إن تقاسم القوى بين الحكومة والسلطات المحلية سوف يخلق نوعاً من التوازن في صنع السياسة المؤدية لتحقيق الأهداف الوطنية³⁷.

لم تقتصر أوروبا على الضغوط والمطالبة بل قدمت الاستعداد الكامل للمساعدة المادية والفنية والتقنية لقيام انتخابات بلدية نزيهة، وذلك عن طريق التنسيق مع نشاطات الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا يصب أيضاً في الدور الذي خطته أوروبا لنفسها كطرف داعم وليس كطرف أساسي وهذا الدور نفسه نلمسه كذلك في المفاوضات بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي. لكن معظم سياسات الدعم للسلطة الفلسطينية كانت مرتبطة بشكل أساسي

³⁷ Asseburg 1998: 19,25.

بإنجازات السلطة التنفيذية الفلسطينية والمقصود هو التحول نحو الديمقراطية والشفافية وسيادة القانون باعتبارها من مقومات الاستقرار والنجاح في الوصول لأهداف فعلية.

لم تقتصر السياسات الأوروبية على دعم السلطة الوطنية والمؤسسات الحكومية التابعة لها، بل توجهت نحو دعم المؤسسات غير الحكومية (الأهلية) العاملة في مناطق الحكم الذاتي باعتبارها أحد مقومات المجتمع المدني وإحدى مقومات الديمقراطية والحفاظ على حقوق الإنسان، بالإضافة إلى ترسيخ فكرة المشاركة الشعبية في المجال السياسي والتي طالما اهتمت بدعمها أوروبا في مناطق السلطة الفلسطينية (مناطق أ)، حيث ارتبطت هذه الفكرة بتأييد أوروبا للشعب الفلسطيني بحق تقرير المصير وعدم اقتصار الأمر على السلطة التنفيذية أو على الرئيس عرفات والزمرة المنتفذة في السلطة على وجه التحديد.

المشاركة الشعبية:

إضافة لما ذكر أعلاه فقد نادى أوروبا بضرورة استمرار الحوار الوطني الفلسطيني بشكل ديمقراطي رغم اختلاف وجهات النظر للقوى السياسية الوطنية والإسلامية الموجودة في فلسطين، وذلك لتحقيق هدفين أولهما التكامل بين هذه القوى، والثاني وهو يمكن أن يكون نتيجة للأول وهو الإجماع حول قضايا المصلحة الوطنية الفلسطينية، لكن بطريقة سلمية دون استخدام "عنف".

الاتحاد الأوروبي يريد تحقيق الديمقراطية والحوار والتعددية والحوار الوطني داخل المناطق الفلسطينية. تقول باومغرتن: إذا ما أراد الاتحاد الأوروبي تحقيق هذه الأهداف، فيجب أن يأخذ موقف مستقل عن الولايات المتحدة تجاه المشاركة الفلسطينية من خلال البرلمان والعموم الفلسطيني بشكل عام. فالحوار والمشاركة يجب أن تشمل جميع القوى الفلسطينية حركات المعارضة والحركات الإسلامية بما فيها حماس وهذا من خلال تعزيز الجانب البرجماتي من حماس الذي أصبح قوياً داخل الحركة. فالاتحاد الأوروبي يجب أن يحدد هدفه مثل الولايات المتحدة وإسرائيل فيما أن يريد سلاماً دائماً وشاملاً أو سلاماً مقنناً وقصير الأجل ويصب في الجانب الأقوى على حساب الجانب الأضعف. بهذه الطريقة لا يمكن تحقيق الديمقراطية في المناطق الفلسطينية³⁸.

يؤيد أيضاً السياسي البريطاني كروك الذي خدم في المناطق الفلسطينية فيقول: هناك حاجة عملية لشمول الإسلاميين. ومن دون موافقتهم، المقاومة المسلحة سوف تستمر، ولكن شملهم هو مهم لأي نتيجة في عيون العموم الفلسطيني والفاعلين الإقليميين مثل إيران وسوريا. "قبدون شرعية المشاركة الإسلامية، سوف يكون مستحيلاً الإثبات لبناء إجماع ضروري بين الفلسطينيين للتغلب على عدم الثقة وتحريك أي عملية سياسية إلى الإمام. "بدون حشد جماهيري ودعم سياسي لا شيء يمكن تحقيقه"³⁹.

³⁸ Baumgarten 1998: 50.

³⁹ Crooke 2004: 1

بالنسبة للناس التي تؤيد حماس والجهد الإسلامي لأنهم يجاهدون ضد إسرائيل، هؤلاء الناس يمكن أن يقتنعوا بالطريق السياسي و البرجماتي لهذه الحركات وذلك من أجل تحقيق الغرض المرجو. يقول كروك: "إن الفلسطينيين يجب أن يدخلوا بعملية سلام داخلية معتمدة أو قائمة على المشاركة بين فتح والحركات الرئيسية الأخرى القيادة الفلسطينية المقسمة لا يمكن أن تكون قادرة على جعل الناس يثقون إلى الطريق التي تسلكها إلى الأمام"⁴⁰.

بجانب ما ذكر أعلاه، يجب السير على المسار السياسي من أجل تحقيق الديمقراطية المتمثل بإنهاء الاحتلال، فدون ذلك لن تتحقق الديمقراطية؛ لأن الاحتلال نفسه يخلق عدم الثقة وعدم الاستقرار ويغذي مشاعر التوتر لدى جميع أفراد الشعب الفلسطيني بما فيها السلطة الفلسطينية.

على عكس ذلك، يري ستيفان ستيتير (Stephan stetter) بأن الموقف الدولي والاحتلال الإسرائيلي لا يمكن أن يأخذوا الاحتلال كمبرر لغياب الديمقراطية في المناطق الفلسطينية. فإن مسألة القيود التي يفرضها الاحتلال المستمر هي تؤخذ كسبب و مبرر يخدم التوجه القائل: إن مصلحة النخب الفردية تستخدمه كستار لمنع بروز حوار محلي أو وطني مبني على التعددية وحقوق الإنسان والديمقراطية⁴¹.

⁴⁰ Ibid: 2-3.

⁴¹ Stetter 2004: 159.

على الرغم أن النخبة الفلسطينية الحاكمة لا تحكم بطريقة ديمقراطية ويتفشى الفساد داخل هذه النخبة كما أسلفت وأشرت متمثلاً بسوء الحكم و"الواسطة". لكن أليس هناك دور للموقف الدولي متمثل بقيادة الولايات المتحدة والاحتلال الإسرائيلي في عدم تطبيق الديمقراطية والمشاركة الشعبية في المناطق الفلسطينية. هل توافق إسرائيل والولايات المتحدة على دخول الحركات الإسلامية حواراً وطنياً يكون لها دور فيه باتجاه عملية السلام حتى لو كانت حماس ترفض اتفاق أوسلو، كما حدث وأن حكمت المعارضة الإسرائيلية لاوسلو عام 1996. ودخول اليمين الديني المتطرف الحكم في حكومة رئيس الوزراء الإسرائيلي أرئيل شارون عام 2003.

من ناحية أخرى ما هو سبب عدم انعقاد انتخابات تشريعية ورئاسية فلسطينية عام 2003 أليس الاحتلال الإسرائيلي وتقطيعه للمناطق الفلسطينية، بحيث يمنع الحركة المطلوبة للعملية الانتخابية. كذلك الولايات المتحدة وإسرائيل يحثون الشعب الفلسطيني على التخلي عن الرئيس عرفات رغم أنه منتخب من الشعب الفلسطيني. كل هذه التساؤلات قد تعيد التفكير بما يطرحه ستيفان ستيتز.

الدور السياسي الأوروبي:

الدور الاقتصادي الذي تقوم به أوروبا تجاه العملية السلمية في الشرق الأوسط لا يمكن فصله عن الدور السياسي. حيث إن أوروبا تستخدم الدور الاقتصادي في المناطق

الفلسطينية كي تحقق أهدافاً سياسية بالأساس. فالمساران السياسي والاقتصادي متداخلان بالنسبة للاتحاد الأوروبي تجاه المناطق الفلسطينية. فرغم الرغبة الأمريكية والإسرائيلية بالألا تتدخل أوروبا في المسار السياسي في العملية السلمية والمحافظة على دور أوروبي كداعم اقتصادي-مالي مكمل للدور الأمريكي، إلا أن الاتحاد الأوروبي كان دائماً مصراً على أن يكون دوره غير مقتصر على الجانب الاقتصادي، بل يجب أن يأخذ منحى سياسياً يتناسب، ولو بحد صغير، مع بعض من مساندته الاقتصادية والمادية للأطراف المتصارعة في الشرق الأوسط. فأهداف الاتحاد الأوروبي تجاه الفلسطينيين والإسرائيليين هي سياسية بالأساس. التأكيد على ذلك يأتي من خلال بيان بروكسل الذي نص على تعيين مبعوث يمثل الاتحاد الأوروبي تجاه عملية السلام وهو السفير الأسباني الأسبق لدى إسرائيل مانويل موراتينوس، وهذا التعيين أتى للبحث عن دور سياسي أوروبي أكبر تجاه عملية السلام وهذا كان نتيجة القلق الأوروبي من عدم التقدم على صعيد العملية السلمية وخاصة عند تولي حزب الليكود الحكم في إسرائيل بقيادة بنيامين نتنياهو.

المواقف الأوروبية والصراع الفلسطيني الإسرائيلي:

إن رغبة أوروبا وتصميمها لخلق دور مميز لنفسها ومنفصل في عملية السلام في الشرق الأوسط ليس جديداً، حيث إن لدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي محاولات عديدة للعب دور جماعي ومستقل عن القوى العظمى يعود إلى فترة السبعينات للعب هذا الدور تجاه الصراع العربي الإسرائيلي. حيث إن الوضع في الشرق الأوسط كان البند الأول على رأس

الأجندة عندما التقى وزراء الخارجية للدول الأعضاء المؤسسة للجماعة الأوروبية لأول مرة في إطار الإنشاء الجديد "للتعاون السياسي الأوروبي" في ميونخ 1970⁴².

منذ تلك الفترة بدأت المواقف الأوروبية تتشكل تجاه الصراع في الشرق الأوسط. وأهم قرار أتى في عام 1980 هو إعلان البندقية الذي أكد على موقف مشترك ومستقل تجاه الصراع العربي الإسرائيلي، فهذا الإعلان جاء مؤكداً على القرارات الأوروبية السابقة وكذلك على قرار مجلس الأمن 242 و338. واعتبر أن احتلال الأراضي هو غير قانوني وفق القانون الدولي، بالإضافة لتأكيدده لحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني⁴³.

استمرت المواقف الأوروبية مركزة على حل الدولتين وإنهاء الصراع العربي-الإسرائيلي عن طريق سلام شامل ودائم. فقد تكثفت الإعلانات الأوروبية والمواقف الأوروبية خاصة بعد انطلاق عملية السلام وكذلك توقيع اتفاقيات أوسلو.

فالمواقف الأوروبية السابقة هي القاعدة الأساسية التي تنطلق منها المواقف الأوروبية اللاحقة. هذه المواقف التي تأتي على شكل إعلانات رسمية تشكل قاعدة جماعية وهي مواقف غير ظرفية وكذلك غير قابلة للتغيير⁴⁴.

هناك التزام أوروبي اتجاه استمرار عملية السلام في الشرق الأوسط على مبدأ "الأرض مقابل السلام" كما وردت في مؤتمر مدريد وكذلك على مرجعية قرارات مجلس الأمن 242 و338⁴⁵.

⁴² Peter: 153-154.

⁴³ Vince Declaration 12/13 June 1980.

⁴⁴ نهرا 2001: 172.

فأوروبا تعتبر أي تغيير للأمر الواقع في المقاطعات المحتلة مرفوضاً ويشكل عقبة أمام تحقيق السلام، وتعتبر المستوطنات والتغييرات في الديمغرافيا والملكية في الأراضي العربية المحتلة غير قانونية وفق القانون الدولي⁴⁶.

من ناحية أخرى رفضت أوروبا قرار الكونغرس الأمريكي بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس متزامناً مع تعيين مبعوث أوروبي. وهذا القرار كان له الأثر في تطور الرؤيا العربية للموقف الأوروبي. حيث أشادت الدول العربية بهذه الخطوة. وكذلك السلطة الفلسطينية معتبرة هذه الخطوة بداية دور أوروبي نشط في المنطقة⁴⁷.

سياسة البيانات الأوروبية:

عند التعامل مع الاتحاد الأوروبي تجاه الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، يجب التمييز بين الإعلانات الرسمية والخطوات الملموسة على الأرض. فالإعلانات الأوروبية ليس لها قاعدة صلبة تقف وراءها تجاه سياسة رمزية أو ملموسة⁴⁸.

فالاتحاد الأوروبي ومن خلال علاقته مع إسرائيل، تعتمد هذه العلاقة بشكل أساسي على العلاقات الاقتصادية، والاتحاد الأوروبي لن يستخدم هذه العلاقات كورقة ضغط حقيقية تجاه إسرائيل.

⁴⁵ Berlin Declaration, Sep. 15: 1999.

⁴⁶ Vince Declaration, 12/13 June 1980.

⁴⁷ حبيب 1997: 125.

⁴⁸ Asseburg 2004: 183.

بالإضافة إلى ذلك، فإن أوروبا عندما تريد أن تنتفض نشاطاً لا يتفق مع التوجه ناحية السلام من قبل الطرف الفلسطيني أو الإسرائيلي، فإنّ ملامتها لا تأتي عن طريق توجيه مباشر للشجب من قبل الطرف الذي يناقض هذا التوجه السلمي أو نتائجه بل عن طريق مخاطبة الطرفين مما يزيد الميوعة في الإعلانات ويترك المجال لكلا الطرفين أخذ الأجزاء المناسبة لهم من الإعلان ومخاطبتها والتركيز عليها. نرى في إعلان برلين عندما أرادت أوروبا أن تنتفض النشاط الاستيطاني الإسرائيلي في الأراضي المحتلة فإنها حاولت أن تأتي باللوم على الطرفين حتى لا تثير غضب الطرف المناقض، خاصة وفي معظم الأحيان عندما يكون هذا الطرف هو إسرائيل وليس الفلسطينيين: "الاتحاد الأوروبي يحث الطرفين على وقف النشاطات التي لا تتماشى مع نتائج المرحلة النهائية للمفاوضات ومن أي نشاط يتناقض مع القانون الدولي، ويشمل ذلك النشاط الاستيطاني، وكذلك محاربة التحريض والعنف"⁴⁹.

فهناك هدفان تريد أوروبا تحقيقهما من خلال رحلة السلام التي بدأت في مدريد وبداية المفاوضات بين الفلسطينيين والإسرائيليين بعد توقيع أوسلو في توجهها تجاه الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي. الأول وهو تاريخي ويشمل الحفاظ على أمن وبقاء دولة إسرائيل. والهدف الثاني هو إقامة دولة فلسطينية ديمقراطية وسلمية وقابلة للحياة جنباً إلى جنب لدولة إسرائيل.

⁴⁹ Berlin Declaration, Sep. 15 1999.

أمن وبقاء إسرائيل:

أوروبا من خلال العملية السلمية تؤكد التزامها التاريخي لبقاء وأمن دولة إسرائيل، ونجد هذا الدعم بشكل واضح وملحوظ من خلال دعم الاتحاد الأوروبي لإسرائيل من الناحية الاقتصادية، على وجه الخصوص، بالإضافة إلى التحيز المطلق لبعض الدول الأعضاء لإسرائيل ولو على حساب الأطراف الأخرى الضعيفة كالفلسطينيين. ففي كل إشارة من قبل أوروبا لقيام دولة فلسطينية هذا يتخلله دعم لوجود وأمن دولة إسرائيل.

يقول موراتينوس: " أحيانا الشعب الإسرائيلي ينسى بأن للجانب العربي متطلبات أمنية. لكن بعيداً عن كل ذلك، يجب أن أقول بالنسبة لسياسة الاتحاد الأوروبي فإن الأمن في إسرائيل هو من أول الأولويات. ونحن نقف وراء الشعب الإسرائيلي والمجتمع الإسرائيلي عندما يكون هناك أي نوع من التهديد لأمن إسرائيل. وهذا نقوله دون ريب أو أدنى شك. وإذا كان هناك أي شك بأن للاتحاد الأوروبي مشاعر غريبة حول أمن إسرائيل، دعنا نقول أن ذلك غير صحيح". يكمل موراتينوس بالقول: "إنّ الأمن مختبئ داخل إجراءات هي التي تجلب عدم الأمن على المدى المتوسط والبعيد. وهذا ما يجعل توجه الاتحاد الأوروبي مختلفاً عن السلطات الإسرائيلية. وهذا ليس لأننا لا نهتم بأمن إسرائيل ولكن لأننا نأخذ بعين الاعتبار إجراءات معينة هي في مصلحة الأمن الإسرائيلي"⁵⁰.

⁵⁰ Moratinos 1999: 15-16.

هذه النقطة الأخيرة تعكس الرؤيا الأوروبية التي تريد تحقيقها على أرض الواقع وهو أن أمن إسرائيل يحقق عن طريق الأخذ بعين الاعتبار أمن ومصالح الأطراف الأخرى في المنطقة وبذلك يمكن تحقيق الأمن لإسرائيل.

هذا التوجه نلمسه من خلال التوجه الفرنسي حيث قال الرئيس الفرنسي جاك شيراك مخاطبا جمهورا إسرائيليا في جامعة التخنيون بحزم: " الأمن لا يتم ضمانه بالقوة فإذا لم يلتزم المرء بما قال وإذا لم يتم الالتزام بالاتفاقيات التي تم التوصل إليها، فإنه لن يكون هناك سلام، وبالتالي لن يكون هناك أمن⁵¹.

الاتحاد الأوروبي ومن خلال تعامله مع أمن دولة إسرائيل يأخذ بالحسبان أمن المناطق المجاورة ولا يتعامل مع هذه النقطة كما تنتظر إليها إسرائيل والولايات المتحدة والتي يهملها أمن إسرائيل ولو على حساب انعدام الأمن واستمرار الاحتلال وعدم الالتزام بالاتفاقيات الموقعة. يؤكد على هذه الرؤيا والتوجه الأوروبي وزير الخارجية الفرنسي دومينيك دوفيلبان في لقاء مع قناة الجزيرة بحيث يربط بين فكرة العدل وازدياد وتيرة ما سماه بالإرهاب⁵².

التحرك باتجاه إقامة دولة فلسطينية:

تقول إسبيرغ وبارتيز (Asseburg & Perthes): إنَّ هناك سببين أساسيين بالنسبة لأوروبا في اتجاه دعم إقامة دولة فلسطينية: الأول : هو ما تأخذه أوروبا من مواقف

⁵¹ الفاصد 1998 : 44.

⁵² قناة الجزيرة، 17 يناير 2004.

من أجل دعم حق تقرير المصير كما جاء في الإعلانات الأوروبية وعلى رأسها إعلان البندقية، وهو يفهم بأنه يشير إلى إقامة دولة فلسطينية مستقلة لأن هذا ما يريده الفلسطينيون. ثانياً، تعتقد أوروبا بأن إقامة دولة فلسطينية يعني اعترافاً فلسطينياً وقبولاً بدولة إسرائيل وحاجتها الأمنية، وهذا ما عبرت عنه أوروبا في قمة أمستردام: "إقامة كيان فلسطيني ذات سيادة و سلمي وقابل للحياة هو أفضل ضمان للأمن لإسرائيل"⁵³.

التحرك الأوروبي تجاه دعم إقامة دولة فلسطينية واضح وملحوس ومن خلال الدور في الدعم المادي. لكن هنا أريد أن أركز على الدور السياسي الأوروبي وخاصة من خلال المواقف السياسية والرسمية للاتحاد من أجل إقامة دولة فلسطينية وبذلك يمكن مزج الدور الاقتصادي بالدور السياسي.

المجموعة الأوروبية كانت تقف رسمياً إلى جانب إقامة دولة فلسطينية وذلك من خلال ذكر حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني. هذه الرؤيا بدأت تأخذ شكل ملموس بعد توقيع اتفاقيات أوسلو. ففي الفترة الانتقالية التي تلت مجيء السلطة الفلسطينية كانت المواقف الأوروبية تدعم باتجاه إقامة دولة فلسطينية كحل نهائي للصراع الإسرائيلي-الفلسطيني مع الالتزام كما أشرنا آنفاً إلى ضمان أمن إسرائيل، فالاتحاد الأوروبي "يلتزم بإقامة دولة فلسطينية وقابلة للحياة والالتزام المجتمع الدولي بما فيها الدول العربية بضمان أمن إسرائيل التي ستقبل كشريك في المنطقة"⁵⁴.

⁵³ Asseburg 1998: 18.

⁵⁴ Berlin Declaration, March 1999.

من وجهة نظر أوروبية فإن إقامة دولة فلسطينية هو أفضل ضمان لأمن دولة إسرائيل وبدون تحقيق ذلك ستزداد الأمور تعقيدا وعدم استقرار. وهذا التوجه الأوروبي يؤكد عليه وزير الخارجية الفرنسي دومنيك دوفيلبان بأنه لا سلام إلا بدولة للفلسطينيين حسب حدود الرابع من حزيران⁵⁵.

من خلال الدور السياسي للاتحاد الأوروبي هدفت أوروبا إلى لعب دور مؤثر في المنطقة اقتصاديا وسياسيا من أجل تحقيق الاستقرار المرجو في منطقة شرق المتوسط بشكل خاص وحوض المتوسط بشكل عام. ولأن التوجه الأوروبي هو جزء من توجه إقليمي فقد لعبت الدول العربية دوراً في دفع الأوروبيين أيضاً للتركيز على الجانب السياسي للحوار مع أوروبا؛ لأن القضايا العربية هي قضايا سياسية بالأساس بحيث تبرز دوراً سياسياً أوروبياً وتكسب أوروبا لصفها. ومن بين القضايا العربية القضية الفلسطينية والصراع مع إسرائيل. رافق ذلك ضغط على أوروبا من قبل الجانب العربي لوقف المساعدات العسكرية لإسرائيل⁵⁶. فاختلاف التحركات الإجرائية تجاه عملية السلام والتركيز على الجوانب الذي يراها كل طرف مناسبة قد خلق نوعاً من ما يمكن أن يسمى "تخبط الأفكار" والرؤى والخلط بين أهداف الشراكة المتوسطية والحوار المتعدد الأطراف بين الطرف العربي والأوروبي وكذلك الإسرائيلي.

⁵⁵ قناة الجزيرة، 17 يناير 2004.

⁵⁶ الشلبي 2000: 91-92.

الاتحاد الأوروبي بين تسوية الصراع والاستقرار الإقليمي:

هدفت الشراكة الأوروبية ومنذ انطلاقتها لتكون منبراً للحوار والتعاون بين الدول في حوض المتوسط وخاصة إسرائيل ولبنان وسوريا وفلسطين. حيث إن وزراء الخارجية للمنطقة الأوروبية المتوسطة ناقشوا في بروكسل عام 2001 الأمور الأمنية والسياسية وخاصة عملية السلام في الشرق الأوسط. واعتبروا الشراكة الأوروبية المتوسطة " أداة " معينة ومعترف بها؛ لتشجيع الحوار بين الأطراف بشكل متساوي، وكذلك للحوار بين الثقافات و الحضارات⁵⁷.

فالشراكة منذ بدايتها كانت تحمل في طياتها أبعاداً سياسية تجاه الصراع وآليات حله حسب القرارات الدولية ذات الصلة. العرب من ناحيتهم كانوا دائماً يحثون الاتحاد الأوروبي للعب دور سياسي تجاه الصراع، وذلك من أجل تحقيق نوع من التوازن للدور الأمريكي المتحيز لإسرائيل. لكن النقل العربي ضعيف والواقع العربي مشرذم بحيث من الصعب أخذ موقف مشترك. من ناحية أخرى معظم الدول العربية أقرب للولايات المتحدة مثل مصر ودول الخليج العربي وبذلك لا تستطيع التخلي عن الموقف الأمريكي إما للمصلحة أو الحذر من ردة الفعل الأمريكية.

كذلك المناقشات الناتجة عن إعلان برشلونة حول السلام والازدهار تسير ببطء؛ لأن هذا الإعلان مقرون ومشروط بكسر العقبات التي تقف في وجه التسوية⁵⁸.

⁵⁷ Brussels, 5/6 Nov. 2001.

⁵⁸ كنفاني 2000: 21-22.

لذلك في أحيان كثيرة أرادت أوروبا عدم ربط الشراكة المتوسطية بالصراع العربي الإسرائيلي، وهذا ما تريده إسرائيل والتي تريد أن تحافظ على علاقاتها الاقتصادية مع دول الشراكة. فهي فتحت أبواب اقتصادية مع الدول التي وقعت معها اتفاقيات سلام وتريد أن تفتح أبواباً أخرى مع دول أخرى دون التأثير على موقفها من الانسحاب من المقاطعات العربية المحتلة. وهذا الموقف لم تقابله أوروبا بالصد و الرفض⁵⁹.

رغم الإشارة الواضحة إلى الصراع في الشرق الأوسط في إعلان برشلونة، إلا أن مواقف بعض الرسميين الأوروبيين تريد الفصل بين الشراكة والعملية السلمية. يقول سفير (فنلندا) لدى مصر بالنيابة عن الرئيس السابق للاتحاد الأوروبي: "إننا لم نرغب قط في ربط العمليتين ببعضها البعض، فقد وقعت اتفاقية برشلونة أسيرة لمشكلات عملية السلام، كما أن هذا الربط قد أفقد الأطراف العربية المزايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لاتفاقية برشلونة، ونحن جميعاً نعمل من أجل فك هذا الارتباط بين كلتا العمليتين"⁶⁰.

في جوهرها، لم تأتي عملية برشلونة كطرف في عملية السلام بل مساندة لها. لكن ما هو مهم أن هذه الشراكة تجمع أطراف بينهم عداء تاريخي وقامت بينهم العديد من الحروب وما زالوا حتى الآن أعداء لبعضهم البعض، بالإضافة إلى ذلك فإن إسرائيل تحتل أراضٍ عربية. السؤال هنا كيف يمكن لسوريا ولبنان أن تقيما علاقات اقتصادية بينها وبين إسرائيل دون انسحاب إسرائيلي من الأراضي السورية المحتلة.

⁵⁹ حبيب 2002: 94-95.
⁶⁰ النواوي 2000: 110.

الربط بين الشراكة والعملية السلمية هو أن الشراكة في جوهرها تحت على التعاون والاستقرار؛ لذلك لا يمكن فصل الصراع عن تحقيق التعاون والاستقرار إلا إذا حل هذا الصراع برضى الأطراف.

قد نجحت هذه الشراكة لجلب الأطراف المتصارعة للمحادثات متعددة الأطراف لكن ما هو الهدف من هذه المحادثات؟ وهل هذه الشراكة ونجاحها يرتبط مع النجاح على أرض الواقع؟ الجواب نعم، فلا يمكن بناء علاقات اقتصادية بين المتحاربين إلا إذا مسحت و أبعدت أسباب الحرب والعداء.

لو أخذنا وجهة النظر العربية، فإن العرب لن يوافقوا على بنود بناء الثقة مع إسرائيل ما دامت ممارسات بناء الثقة الإقليمية مغلقة، واقصد هنا العملية السلمية خاصة فترة حكم بنيامين نتنياهو. فهذا الأخير أخذ مواقف متناقضة للاتفاقيات الموقعة، وكان يعد ناخبه بعدم مقابلة عرفات ولا تنفيذ ما وقعت عليه إسرائيل. فكيف للجانب العربي أن يثق بأي علاقة غير سياسية مع إسرائيل. من ناحية أخرى تنتظر سوريا ولبنان إلى عدم الالتزام الإسرائيلي تجاه ما وقعت عليه إسرائيل مصدراً لانعدام الثقة بما تقوله إسرائيل.

لكن من الصعب بل يمكن أن يكون من المستحيل أن تتعاون الأطراف جميعها في ترتيبات تعاون أمني مع بعضهم البعض لأن العداءات لم تحل بعد. حيث إن هذه الشراكة هي فقط مأسسة وضع راهن دون الرضى عن هذا الوضع. حيث أن الدول العربية الأعضاء لن

تمنح إسرائيل علاقات طبيعية قبل الوصول لاتفاقية سلام شاملة وخاصة دول الطوق المحتلة أجزاء من أراضيها وهي سوريا ولبنان⁶¹.

من هنا يبدأ دور هذه الشراكة وأهدافها لفتح باب الحوار بين الأطراف عن طريق المبعوثية لخلق التوافق والكفاءة في التنفيذ، ولكن هذا أيضاً يبين ضعف صناعة السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي⁶².

ما يضيفي الغموض على هذه الشراكة المتوسطة، هي أنها ليست مشروعاً اقتصادياً ذا أهداف سياسية، بل مشروع استراتيجي هدفه الأمن من أي صراع قد يعزز عدم الاستقرار. وكذلك يهدف إلى الحد من الهجرة الناتجة عن الفقر والكبت السياسي. وكذلك نشوء الحركات الراديكالية كنتيجة هذه الظروف⁶³. تبين من ذلك شيء مهم ألا وهو أن مشروع الشراكة الذي يحمل في طياته أهدافاً من جوانب مختلفة لكن لا توصل أوروبا في الوقت الراهن على الأقل _ إلى لعب دور فعال وضابط في إنهاء الصراع العربي-الإسرائيلي والفلسطيني-الإسرائيلي؛ لأن المفاوضات بين الأطراف مقترنة بالتقدم على الصعيد الثنائي والتي تسيطر عليه الولايات المتحدة.

⁶¹ Hollis 2000: 117.

⁶² Ibid: 119.

⁶³ مصطفى 1999: 148.

خلاصة:

النظرة إلى المستقبل هي أهم ما يحرك الاتحاد الأوروبي تجاه الشرق الأوسط. ففي ظل مرحلة القطبية الأحادية والتي تسيطر على العلاقات الدولية، نجد أن الاتحاد الأوروبي يسعى حسب قدراته والسيطرة على هذه القدرات؛ ليضع يده على منطقة تدخل في مجاله التاريخي والاستراتيجي بشكل مباشر. هذه المنطقة تتظر إليها الدول المختلفة في تطلعاتها داخل الاتحاد الأوروبي كمنطقة حيوية تشكل عمقاً جغرافياً استراتيجياً.

فانطلاق عملية السلام في الشرق الأوسط زادت من عجلة التحرك الأوروبي تجاه هذه المنطقة عاكسةً التوجه الأوروبي تجاه المنطقة ككل من خلال الحوار المتعدد الأطراف، وخاصة بين الدول التي تعيش حالة صراع من أجل تحقيق السلام الشامل والدائم في منطقة شرق المتوسط والوصول إلى حل فعلي للصراع العربي الإسرائيلي. من ناحية أخرى تحقيق الديمقراطية في دول المنطقة.

هذا التوجه الأوروبي نجده من خلال التوجه الأوروبي تجاه الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي بعد توقيع اتفاقيات أوسلو. فقد توجهت أوروبا إلى المناطق الفلسطينية من أجل تحقيق الأهداف من خلال الدعم الاقتصادي والمواقف والتحركات السياسية رغم تعارض الأفكار والرؤى بين الأطراف المتصارعة من جهة وكذلك تجاه أوروبا ودورها.

توجهت أوروبا من أجل تمهيد الإقامة لدولة مستقبلية من خلال دعم السلطة الفلسطينية وقوى المجتمع المدني كأداة لتحقيق المشاركة الشعبية والعملية الديمقراطية. لكن

هذا الدعم لم تُجن ثماره بسبب العلاقات الإسرائيلية-ال فلسطينية ونتيجة الإغلاقات الإسرائيلية. من جانب آخر كانت أوروبا تأخذ مواقف فورية ورسمية تجاه هذا الصراع، وهذا من منطلق تسلكه أوروبا وهو بأنه لا رجعة عن العملية السلمية والتي نتيجتها ستكون دولة فلسطينية ديمقراطية وأمن لإسرائيل.

الأهداف الأوروبية المرجو تحقيقها تجاه الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي كانت تختلف عن الطريقة التي تتعامل بها القوى العظمى وهي الولايات المتحدة وكذلك تختلف مع أحد طرفي الصراع أي إسرائيل. هذا وضع الكثير من العقبات في طريق الاتحاد الأوروبي من أجل حل الصراع من أجل الوصول لحل الصراع العربي الإسرائيلي.

فالرؤى الأوروبية تجاه الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي وعملية التسوية بينهم ما بين عامي 1994 حتى 2000 لم تتحقق على أرض الواقع، وذلك يعود إلى خصوصية المشكلة بالنسبة لدول الاتحاد الأوروبي و الولايات المتحدة و إسرائيل. هذا من جهة، ومن جهة أخرى انفراد الولايات المتحدة بإدارة هذا الصراع كان سلمياً أو مقترناً بأعمال عنف وصدام.

من خلال الفقرتين الأخيرتين سأبدأ بالسؤال التالي... لماذا لم تلتق الرؤى والمواقف والإعلانات الأوروبية بالواقع؟ هذا السؤال سيكون نقطة البداية التي سيبدأ الفصل التالي، أي الفصل الثالث، بالحديث حوله.

الفصل الثالث:

حقوق المور الأوروبي تجاه الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي

مدخل نظري:

"الأمن في الشرق الأوسط عادة ما يتعامل معه على أنه وظيفة أو مهمة من المتغيرات البنائية والعسكرية. إن التحليلات بشكل كبير عندما نتحدث عن الأمن في الشرق الأوسط تركز على بناءات القوة والتحالفات والتوزيع النسبي للقدرات والقوة والإنفاق الكثير على الأمور العسكرية وذلك لتفسير الحروب على وجه الخصوص التي حدثت في النصف الثاني من القرن العشرين"

Janice Gross Stein¹

عند دراسة المثلث الصعب الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والشرق الأوسط، نجد تقارباً بين المثلث هذا، لكن لكل منه مزاياه ومصالحه الخاصة. الشرق الأوسط كان دائماً مسرحاً للصراع بين القوى المختلفة في العلاقات الدولية. لكن لكل عصر ميزاته وخصائصه الخاصة. وأريد أن أنظر إلى الشرق الأوسط والذي انطلقت فيه "عملية سلمية" بين إسرائيل والفلسطينيين في فترة ما بعد الحرب الباردة.

يقول والت: نهاية هذه الحرب جعلت من بعض الأكاديميين يعتقدون بأن النظرية الواقعية قد سقطت، لكن هذا التصور بولغ في تقديره².

فانطلاق العملية السلمية في الشرق الأوسط قد جذب الانتباه إلى المرحلة التي تلت نهاية الحرب الباردة والاعتقاد بأن هذه الحرب كانت تحول دون تحقيق السلام في الشرق الأوسط بسبب المنطق الواقعي الذي سيطر عليها وعلى تفسيرها.

أوروبا ومتمثلة بوحدتها الجديدة المتمثلة بالاتحاد الأوروبي قد دخلت المنطقة ومن خلال عملية السلام. فمنطقة حوض المتوسط تشكل تهديداً أمنياً لأوروبا بالإضافة إلى

¹ Stein 1993: 56.

² والت 1998: 12.

أهميتها الاقتصادية. هذا جعل أوروبا تدخل هذه العملية والمحاولة للمشاركة فيها متمثلة بالشراكة الأوروبية المتوسطية والتي تطرقت لبذور حل الصراع العربي الإسرائيلي. هدفت أوروبا إلى تحقيق الاستقرار، وبالتالي أرادت المضي قدماً تجاه عملية السلام. ودعمت أوروبا المناطق الفلسطينية من أجل بناء مؤسسات تساعد على قيام دولة فلسطينية. هذه الجهود الأوروبية تجاه الصراع الفلسطيني الإسرائيلي توجت بنكسة في نهاية عام 2000 وانطلاق بداية انتفاضة الأقصى مع زيارة قائد المعارضة الإسرائيلي أريئيل شارون إلى ساحة المسجد الأقصى.

السؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما هي الأسباب التي تقف وراء هذا الفشل الأوروبي في تحقيق الاستقرار في منطقة تعتبر حيوية استراتيجياً؟ هذا السؤال سي طرح ويحلل من ناحية نظرية معتمداً على النظرية الواقعية، ليس لأنها الوحيدة لتفسير مثل هذه المسألة بل لأنها النظرية الأكثر تلاؤماً للتعامل مع هذه القضية على الأقل من وجهة نظر هذه الدراسة.

لو أخذنا الاتحاد الأوروبي من ناحية واقعية؛ فلن نعتبره الواقعية مجالاً للبحث لأنه يتكون من دول ذات سيادة قومية. و الواقعية تعتبر الدولة هي الفاعل الرئيسي في العلاقات الدولية³، والاتحاد بين الدول الأوروبية لا يمكن أن يعتبر فاعلاً رئيسياً في العلاقات الدولية فمن ناحية خارجية نرى بأن السياسة الخارجية تقع في يد الدول الأعضاء.

³ Noitti : 35.

الواقعية تتعامل مع الكيان في العلاقات الدولية بأنه ذلك الذي يتكلم بصوت واحد⁴، و هذا لا نلمسه في سياسة الاتحاد الأوروبي، فالدول في الاتحاد كل على حدة تتكلم الدولة فيه بصوت واحد وهذا يعكس حقل السيادة الوطنية للدولة داخل الاتحاد الأوروبي. يقول ليزبون (Lispon): إن سيادة الدولة توازي معضلة السجين (Prisoner Dilemma) في السياسة الدولية لأن كل لاعب في اللعبة يفترض بأنه يحقق مصالحه الذاتية ويعتمد على نفسه و يحاول تكبير منفعته الذاتية⁵.

فالواقعية تتطلق من نقطة مهمة وهو أن الدول تسعى إلى تحقيق مصلحتها القومية، وهذه المصلحة لا تتغير حسب الوقت والظروف⁶. كما أن الدول تهتم باستمراريتها وهذا يقع في أعلى أولوياتها⁷. هذا يشكل نقداً لبناء للاتحاد الأوروبي التي ما تزال دوله تلعب دوراً مركزياً في إطار السياسة والعسكرة. كما أن هذه الدول ومن خلال توجهاتها المختلفة تعكس أنها تحكم بمصلحتها القومية بالدرجة الأولى.

مما ذكر أعلاه يتبين للقارئ بأن الدول الأعضاء داخل الاتحاد لها مصالح مختلفة ومتصادمة في حقل العلاقات الإقليمية والدولية. وهذا نجد له على الأقل حلاً من منظور واقعي. حيث يقول لورد ساليبيري (Lord Salisbury): "الرابطه الوحيدة لاتحاد معين التي تأخذ مكاناً بين الأمم هو غياب كل المصالح المتصادمة (clashing interests)⁸."

⁴ Ibid: 35.

⁵ Lipson 1989: 2.

⁶ Morgenthau 1973:8.

⁷ voitti:36

⁸ Williams 1994: 36.

يتساءل أندور هيرل بأنه كيف يمكن أن يأخذ التعاون مكانه بين دول تدعي السيادة وتتافس على القوة والنفوذ في اللاسلطة الدولية⁹.

الاتحاد الأوروبي يوقع المنظرين في جدل حول مستقبله الذي سيكون اختباراً لنظرياتهم، فإذا ضعفت النزعة تجاه التكامل الأوروبي فإن الواقعيين الجدد سوف يدعون الانتصار، أما إذا ما تحقق تقدم تجاه التكامل واستمر ذلك، فإن الليبراليين الجدد سوف يعتبرون ذلك دعماً لأرائهم وتوجهاتهم النظرية¹⁰.

أوروبا ككيان سياسي يعاني من مشكلة سيادية حيث إنه في ظل تعارض الإرادات داخل الاتحاد الأوروبي اتجاه الشرق الأوسط؛ فإن أوروبا تفتقر للقوة السيادية التي يعتبرها جون بودان صفة الدولة وإن وجود القوة السيادية يوازي وجود الدولة نفسها¹¹.

ونتيجة لافتقار أوروبا للسيادة بمعناه الواقعي، فإن هذا يؤثر على مركزية صنع القرار الذي يحد بالتأكيد من فاعلية الدولة في البيئة الدولية. فرغم الوصول إلى سياسة خارجية وأمنية مشتركة إلا أنها ما زالت تقع في حقل السياسة الخارجية للدول الأعضاء. وهذه الدولة هي التي تشكل البعد الواقعي في دراسة علاقة أوروبا مع منطقة المتوسط.

انطلاقاً من الفكرة القائلة، بأنه لوجود سياسة خارجية فعالة، يجب أن تحدد الأدوار من خلال مؤسسات بغض النظر عن آراء ممثل السياسة الخارجية. سنجد أوروبا تعاني من مشكلة تنبع من فهم القادة للدور الأوروبي في حوض البحر المتوسط والشرق الأوسط

⁹ Hurrel : 50

¹⁰ Baldwin 1993: 5

¹¹ حتى 1985: 75.

،حيث أن لعب دور فاعل يتطلب بالأساس مجموعة من السلوكيات المفترضة بغض النظر عن آراء الشخص في مركز صنع القرار¹².

واستكمالاً للفقرة السابقة فإن أوروبا في مفهومها لدور فاعل في الشرق الأوسط يعاني من تضارب حقيقي بين الغاية والوسيلة، في الحين تريد أوروبا تحقيق أمنها واستقرارها وزيادة نفوذها في الشرق الأوسط. وهذه الغايات في بعدها الأمني تميل إلى الواقعية، إلا أنه لتحقيق ذلك نجد سلوك أوروبا في صورتها مبنياً على أسس ليبرالية، حيث إن أوروبا تستخدم الاقتصاد والديمقراطية والسلام من أجل تحقيق الأهداف المرجوة.

هل أوروبا مهيأة للعب سياسات تتوافق مع النظرية الواقعية في المنطقة أي أن تسلك الطريقة التي تتعامل بها الولايات المتحدة، وهل يمكن من خلال هذه السياسات أن تحقق أوروبا أهدافها؟ هذه الدراسة تعتقد العكس حيث إن الوجود الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط، بشكل عام، وحوض المتوسط، بشكل خاص، يشكل عائقاً أمام نهج أوروبي واقعي. حتى لو افترضنا أن هناك مجالاً للتحالف مع الولايات المتحدة في المنطقة فهل سيعود بالفائدة على أهداف أوروبا في المنطقة؟

الواقعية وفي ظل فروقات القوة بين الولايات المتحدة و أوروبا تدلل على أن الولايات المتحدة في ظل هذه العلاقة غير المتكافئة ستكون هي المستفيدة بنصيب الأسد وليس أوروبا؛ لأن توازن القوى في المدى الطويل سيميل ويجعل الولايات المتحدة أكثر

¹² المرجع السابق: 194.

قوة وفعالية والعكس صحيح بالنسبة لأوروبا. اللاسلطة الدولية تدفع الدول للقلق إزاء المكاسب النسبية للتعاون و الطريقة التي يتم بها توزيع المكاسب على الأطراف المعنية¹³. أوروبا تعاني من مشاكل أمنية مصدرها من دول حوض البحر المتوسط، وهي بذلك غير مستفيدة لذلك تسعى لتغيير هذا الوضع في المنطقة للوصول إلى حالة الاستقرار. على الأقل: أوروبا تتعامل مع الشرق الأوسط فيما يتعلق بالأمن من خلال مفهوم دفاعي على عكس الولايات المتحدة الأمريكية التي تسعى من خلال سلوكياتها وسياساتها في الشرق الأوسط للحفاظ على النفوذ في المنطقة وزيادة هذا النفوذ.

وإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تسعى دائما إلى زيادة نفوذها في الشرق الأوسط، إلا أنه بعد نهاية الحرب الباردة شعرت أوروبا بضرورة التوسع في سياساتها في الشرق الأوسط تماشيا مع زيادة التهديد¹⁴. حيث يدلل التاريخ بأن الدول تتوسع في سياساتها مع الزيادة في التهديد، ولكن هل أوروبا قادرة على بناء سياسة فاعلة في أوروبا دون الوصول إلى انصهار بنوي في صنع قرارها.

الولايات المتحدة الأمريكية هي المنتصرة بعد نهاية الحرب الباردة وهذا الانتصار قد تعزز في الشرق الأوسط. ودخول الاتحاد الأوروبي في المنطقة لن تسمح به الولايات المتحدة حتى لو كان حليفاً وشريكاً، فالمصالح تتغير. فالغموض والتشكك حول النوايا المستقبلية والمصالح المستقبلية للدول الأخرى يقود رجال الدولة (الحكم) للانتباه بشكل أكبر للقدرات والتي تعتبر القاعدة الرئيسية لأمنهم واستقلالهم¹⁵.

¹³ والت 1998: 12.

¹⁴ Zikaria : 30.

¹⁵ Baldwin 1993: 7.

كما أن الولايات المتحدة تأخذ في الحسبان المكاسب النسبية للدول الأخرى. فيرى الواقعيون بأن المكاسب النسبية في ظل اللاسلطة هي الأساس للأمن و الاستقلال. فالهدف الأساسي للدول بأي علاقة ليس هو تحقيق أعلى نقطة من المكاسب، بل الهدف الأساسي في أي علاقة هو أن تمنع الآخرين من التقدم في تحقيق القدرات النسبية¹⁶.

لكن السؤال هنا ، الدول الأوروبية هي حليفة للولايات المتحدة لذلك ما هو دافع القلق الأمريكي تجاه دور أوروبي في المنطقة ؟

الجواب على هذا السؤال من ناحية واقعية هو أن صديق اليوم ربما يكون عدو الغد، فإذا شارك صديق اليوم في المكاسب و النفوذ آخذا فرصته كصديق في الحاضر ربما يشكل خطراً أكبر في المستقبل في حال تحوله إلى عدو. لذلك يجب على الدول أن تعطي انتباهاً جدياً لما يكسبه الشركاء¹⁷.

فالولايات المتحدة لن تترك لأوروبا المجال في السيطرة على المنطقة؛ لأن أوروبا صديق اليوم والتي لا تستطيع أن تكون نداً للولايات المتحدة، ربما تتحول إلى ند في المستقبل يصعب الحد من نفوذه.

السؤال الذي يطرح نفسه وهو لماذا تترك الولايات المتحدة الحبل لأوروبا للدعم الاقتصادي والقيام بمشاريع اقتصادية بالمنطقة ؟

يقول غريسو: إنَّ التعاون يختلف حسب الشريك، فإذا كان الشريك خصماً طویل الأمد يكون التعامل أقل، إما إذا كان يمكن أن يكون صديقاً طویل الأمد -كأوروبا

¹⁶ Grieco 1993: 27.

¹⁷ Ibid: 118.

والولايات المتحدة- يمكن أن يكون التعاون أكبر، لكن هذا كله ليس في حالة الأمن بل في حالة الاقتصاد¹⁸. لذلك نجد أوروبا نشطة في حالة الاستقرار النسبي والتقدم في السلام ومهمشة إلى حد بعيد في حالة المواجهة لصالح الولايات المتحدة، فأى تدخل حول الأمن والاستقرار في المنطقة يجعل الولايات المتحدة تشعر بالتهديد من خلال دخول أي فاعل في الشرق الأوسط والتي تعتبرها منطقة أمن قومي. من هذه الجهة تأتي القيود على أي دور أوروبي فاعل في الصراع في الشرق الأوسط.

التحالف مع إسرائيل:

من ناحية المصلحة فإن الولايات المتحدة تعتمد على إسرائيل في علاقاتها مع الشرق الأوسط، وإسرائيل هي المنتصرة في الحروب الحاسمة التي قامت في الشرق الأوسط، وبذلك الولايات المتحدة من مصلحتها أن تحافظ على هذا الحليف الذي هو في حالة صراع مستمرة مع جيرانه لذلك هو بحاجة إلى أن يعتمد على قوة خارجية وبذلك يكون دائما بحاجة لهذه القوة الخارجية، حيث إن هذه القوة أي الولايات المتحدة تخدم مصالحها أيضا.

من ناحية أخرى تستفيد إسرائيل من نفوذ كبير لها ومن خلال الموالين لها في المجتمع الأمريكي وخاصة اللوبي الموالي لإسرائيل. فلا يوجد لوبي موالي لها بنفس القوة في دول الاتحاد الأوروبي، لذلك الولايات المتحدة رأيتها العام يصب في مصلحة إسرائيل، لذلك لا غنى عن هذا الحليف طالما يحقق مصلحة إسرائيل إقليميا ودوليا.

¹⁸ Ibid: 129.

يقول شبلي تلحمي (Telhami): "إنه لمن الضروري في دراسة السياسة الإقليمية أن تدرس قواعد السياسة الخارجية للقوى العظمى وهذا يشمل الأسس المحلية".
 يكمل شبلي تلحمي: "إنه لمن المستحيل، على سبيل المثال، دراسة العلاقات الأمريكية مع الشرق الأوسط دون الأخذ بالحسبان الالتزام الأمريكي الأساسي تجاه دولة إسرائيل " هذا نجده من خلال العلاقات، الإسرائيلية-العربية¹⁹.

إسرائيل ومن خلال (عملية السلام) أو الصراع الفلسطيني الإسرائيلي في غير حاجة لطرف لا يحقق مصالحها مقارنة بالولايات المتحدة، لذلك لن تجد أوروبا ترحيباً من قبل إسرائيل في الدخول في الصراع العربي-الإسرائيلي بشكل عام والصراع مع الفلسطينيين بشكل خاص.

¹⁹ Telhami 1990: 40.

حدود الدور الأوروبي

تمهيد:

إن توقيع اتفاقية أوسلو مقرونة بالمصافحة الشهيرة بين رئيس الوزراء الإسرائيلي الراحل إسحاق رابين ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات في ساحة حديقة البيت الأبيض قد أدخل المنطقة بشكل عام والفلسطينيين والإسرائيليين بشكل خاص في حقبة جديدة من الصراع تسمى "العملية السلمية".

ليس الفلسطينيون وحدهم وإسرائيل المهتمين والقلقين تجاه هذه المرحلة الجديدة، بل هناك لاعبون وفاعلون آخرون مهتمون بها أيضاً. وأذكر هنا وأركز _ ولغرض هذا الفصل _ على الأوروبيين (أوروبا الغربية) التي دخلت، وتزامنت مع عملية السلام، حقبة جديدة من التكامل الأوروبي وأقصد هنا ما تمخضت عنه معاهدة ماسترخت وهو الاتحاد الأوروبي كاسم بديل للجماعة الأوروبية، وظهور السياسة الخارجية والأمنية المشتركة.

كثيرون نظروا إلى هذا الاتحاد كقوة جديدة والتي سوف تؤثر في مجرى الأحداث في المنطقة ككل لما لدول هذا الاتحاد من صلات تاريخية وجديدة (حديثه) مباشرة وغير مباشرة مع المنطقة. نحن نعرف بأن أوروبا دائماً تتأثر بمجرى الأحداث في منطقة الشرق الأوسط وخاصة الصراع العربي-الإسرائيلي، ولذلك تحاول أوروبا دائماً تحقيق الاستقرار في هذه المنطقة المضطربة وحاولت جادة في العقد الأخير من القرن الماضي ومن خلال تقارب طرفي الصراع في "فلسطين" لتحقيق السلام للوصول إلى تسوية شاملة بين الأطراف المتنازعة في منطقة الشرق الأوسط ككل. الاتحاد الأوروبي ومنذ بداية

عملية السلام دعم الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني وقام باستثمارات في إسرائيل ودعم مئات المنظمات غير الحكومية (الأهلية) في مناطق السلطة الفلسطينية. علاوة على ذلك، ورغم ما رأيناه وخاصة من خلال التواجه الشرس بين الطرفين مع نهاية عام 2000، فإن الاتحاد الأوروبي قد قام بدعم اقتصادي كبير للطرفين من أجل الوصول إلى تسوية. لكن هناك نقطة مهمة مفقودة وهي الدور السياسي تجاه هذا الصراع الذي هو بالأساس صراع سياسي وليس اقتصادي. الاتحاد الأوروبي لم يستطع لعب الدور السياسي المطلوب منه بما يتناسب مع تطلعاته وأهدافه في فترة ما بين عامي 1994-2000، وهذا بدوره يعود لعوامل وأبعاد متعددة ومتشابهة في الوقت نفسه.

من هذه النقطة ينطلق سؤال هذا المبحث: ما هي حدود الدور الأوروبي في العملية "السلمية" بين الفلسطينيين و إسرائيل من 1994-2000؟ ما هي العوامل التي تعيق الاتحاد الأوروبي من لعب دور فعال ونشط لدفع الأطراف المتنازعة إلى الأمام للوصول إلى تسوية؟ هل هذه العوامل تعود إلى معوقات خارجية أو داخلية أو كلاهما معاً؟ هذا المبحث، والذي أخذت فكرته من مقالة "تأصيل حتي" الذي تشمل من ضمن المراجع في نهاية هذه الدراسة، سوف يحاول الإجابة على هذه الأسئلة.

هذا المبحث يقسم إلى ثلاث مباحث؛ المبحث الأول يتحدث عن الدولة القومية أو السيادة الوطنية للدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، وكيف لهذا العامل من دور في إضعاف عناصر القوة السياسية للتحرك الأوروبي ككتلة واحدة. المبحث الثاني من هذا الفصل يركز على السيطرة الأمريكية في الشرق الأوسط، وهذا المبحث أيضاً يشمل

مقارنة بين دور الاتحاد الأوروبي والدور الأمريكي لجعل الضعف الأوروبي أكثر وضوحاً. المبحث الثالث يتحدث عن التحفظات الإسرائيلية والرفض الإسرائيلي لأي دور سياسي مهم وحيوي للاتحاد الأوروبي في "التسوية السلمية". ما هو مهم ذكره حول ذلك هو أن توازن القوة هو في مصلحة أو إلى الجانب الإسرائيلي في المنطقة مدعوم من قبل الولايات المتحدة كقوة عالمية فريدة من نوعها عبر التاريخ.

تأتي القيود على دور الاتحاد الأوروبي تجاه عملية التسوية في الشرق الأوسط بين إسرائيل والفلسطينيين من أبعاد وأشياء مختلفة؛ منها داخلية وهي تتعلق بطبيعة الاتحاد الأوروبي ومدى تكامله على الصعيد السياسي والدبلوماسي المتعلق بالمصالح الوطنية للدول الأعضاء. فنرى في أحيان كثيرة التضارب في سياسات الدول الأعضاء وخاصة للدول الكبرى مثل بريطانيا وفرنسا وألمانيا.

من ناحية أخرى، تأتي القيود على دور الاتحاد الأوروبي من الخارج وأقصد هنا على وجه الخصوص الولايات المتحدة الأمريكية التي تنفرد بالسيطرة على العملية السلمية وفي الوساطة بين الأطراف المتصارعة.

القيود تأتي كذلك من أحد طرفي الصراع وهي إسرائيل التي تعيق أي دور أوروبي نشيط و فعال سياسياً ودبلوماسياً لتحريك العملية السلمية بالاتجاه الصحيح قانونياً. فإسرائيل تريد الإبقاء على الدور الرئيسي للولايات المتحدة التي تتبنى في غالبية الأوقات وجهة النظر الإسرائيلية بالقول والفعل، وهذا الدعم السياسي لا توفره أوروبا مقارنة بالولايات المتحدة.

سأبدأ بالقسم التالي بالقيود التي تأتي بشكل أساسي من داخل الاتحاد وأخص بالذكر السيادة الوطنية و التي تعكس التوجه السياسي بالأساس للدول الأعضاء والتي تعيق في أحيان كثيرة عمل الاتحاد ككتلة لها تأثير سياسي، ففي أحيان كثيرة تتصرف دول الاتحاد الأعضاء من منطلق مصالحها القومية الضيقة للحفاظ على أمنها القومي كأولوية لسلوكها السياسي والعسكري بشكل أساسي.

واقعية أوروبا:

رغم المحاولات الأوروبية المستمرة لجعل الاتحاد الأوروبي ذا بعد وثقل سياسي من خلال إعادة هيكلة مؤسساته تحت عنوان مراجعة اتفاقية ماسترخت بهدف استكمالها، وكذلك توسيع الاتحاد شرقاً وتوسيع نفوذه جنوباً للتأثير على الدول المتصارعة على وجه الخصوص، ومحاولتها لإنشاء مشاريع دفاعية أوروبية، إلا أن الدولة القومية ما زالت تلعب دوراً مهماً وتشكل عائقاً أمام الوحدة السياسية الأوروبية ونرى ذلك في سلوك دول مثل فرنسا وبريطانيا.

فعملية التسوية في الشرق الأوسط إذا ما أرادت أن تسير بالاتجاه الصحيح، فعلى أوروبا أن تخفف من التجاذبات داخل الدول الأعضاء، حيث إن هذه التجاذبات تشكل عنصر ضغط وتقيد لبلورة سياسة خارجية²⁰. تبرز هذه التجاذبات بين الدول الكبيرة داخل الاتحاد الأوروبي وخاصة التي لها ارتباط تقليدي ببعض الدول في الشرق الأوسط، ومن ناحية أخرى يلعب العامل الجغرافي والاستراتيجي أدواراً مهمة في إظهار التجاذبات داخل دول الاتحاد الأعضاء.

هناك قيود تأتي على دول الاتحاد الأوروبي نحو لعب دور في الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي. وهذا ليس فقط له علاقة في هذه النقطة - بالدولة القومية. هذا يأتي من حالة التطور في الاتحاد الأوروبي كهوية أو كيان سياسي من خلال السياسة الخارجية والأمنية المشتركة. فهذا يحتاج إلى وقت من أجل تحقيقه بدرجة ما. فمثلاً عند التعامل مع

²⁰ حتى 1997: 9.

مبعوث أوروبي، فيجب أن يكون له تفويض محدد ويكون هناك سرعة استجابة للأحداث والتحرك السريع ويكون هناك ضغوط متينة ترافق عمل المبعوث. لكن هل ما يقوم به موراتينوس يرضي الدول الأوروبية ويشعرها بارتياح؟؟ ولو قارنا موراتينوس مع دنيس روس نرى بأن دنيس روس ليس بحاجة للرجوع إلى 15 دولة من أجل التنسيق مع الحكومات المختلفة؛ ليكون ما قام به مقبول من تلك الحكومات²¹.

"التيارات الثلاثة" داخل الاتحاد الأوروبي:

سأبدأ الحديث عن ما يسميه ناصيف حتى²² "التيارات الثلاثة" داخل الاتحاد الأوروبي، والتي تعكس الرؤى والمصالح الوطنية، وهي: التيار الأول: فرنسا، وإيطاليا، وأسبانيا، وإيرلندا. هذا التيار يأخذ موقفاً واضحاً وحاسماً تجاه التسوية في الشرق الأوسط وهو تحميله المسؤولية لإسرائيل للأزمة التي تعيشها عملية التسوية. وتلك الدول تتطلع لدور أوروبي نشط وفعال في هذه التسوية. كما أن هذا التيار يريد التوجه نحو الجنوب ودول الشرق الأوسط مما يعني دوراً أوروبياً أكبر في هذه المنطقة.

التيار الثاني يمثل بريطانيا التي تحمل نفس موقف هذا التيار تجاه على من تقع مسؤولية إحداث الأزمة، لكن هذا يحدث بهدوء وسرية وبدوره لا يؤثر على إسرائيل إطلاقاً. كما أن بريطانيا تتحفظ على أي دور أوروبي فعال كما يريده التيار الأول، وذلك بسبب علاقاتها مع الولايات المتحدة و الاعتبارات الأطلسية في سياسة بريطانيا التي أعاققت، في أحيان كثيرة، عجلة الاندماج الأوروبي خلال مسيرة الوحدة، وحتى الآن.

²¹ Erdman 1999: 22

²² لمزيد من المعلومات انظر: حتى، 1997، 8-10.

التيار الثالث والذي يمثل كلاً من ألمانيا، وبلجيكا، وهولندا، والدنمرك. هذا التيار يتجنب تحميل إسرائيل المسؤولية ومواقفه تتسم بالميوعة تجاه الأزمة دون تحميل المسؤولية لمن يحدث الأزمة. هذا التيار لا يتحمس لدور أوروبي نشط في عملية التسوية؛ لأن هذا الدور لا يلتقي مع توجه هذه الدول بالأساس، كما أنها تفضل بقاء الولايات المتحدة صاحبة الدور وعدم المحاولة في المشاركة. نرى أن ألمانيا تريد التوجه نحو الشرق، حيث إن شرق أوروبا قد تحرر من منطق الانضباط الاستراتيجي الذي كان يفرضه الاتحاد السوفيتي، وخلق واقعاً جغرافياً جديداً. وسط وشرق أوروبا هما المجال التقليدي والتاريخي لألمانيا لذلك تريد أن يتجه الاتحاد نحوه وأن يكون مكان العمليات بالنسبة لها الجنوب، الذي تريد فرنسا التوجه نحوه؛ لأنه المجال التقليدي والتاريخي لها وأن يكون الشرق هو مكان العمليات.

السيادة الوطنية:

عند الحديث عن الدور السياسي الأوروبي لا يمكن إغفال الخلافات السياسية بين الدول الأعضاء في داخله باتجاه قضايا مختلفة وأخص بالذكر ولغرض هذه الدراسة قضية فلسطين، فعلى سبيل المثال نرى بريطانيا _ وهي المسؤولة تاريخياً عن مشكلة فلسطين _ تقف عادة إلى جانب إسرائيل ومثلها هولندا وألمانيا²³. فرغم اعتراض الاتحاد الأوروبي على تصدير المنتجات الزراعية إلى دول الاتحاد من المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي العربية والفلسطينية عام 1967 واعتبار هذه الأراضي محتلة من الناحية القانونية وبالتالي هي خارج الاتفاقية التجارية التي وقعت مع إسرائيل عام 1996، إلا أن

²³ Perthes 2000: 51.

هولندا وعلى لسان وزير خارجيتها رفضت مناقشة هذا الموضوع داخل الاتحاد وكذلك رفضت مناقشة مسألة فرض عقوبات على إسرائيل كأمر مطروح للبحث، وهذا ما أكدته كذلك السفير الفرنسي في إسرائيل²⁴.

المستوطنات تعتبر من الناحية القانونية غير شرعية، وأوروبا بدورها وفي إعلان برشلونة كانت متحمسة لاحترام قرارات مجلس الأمن 242، 338 والحث على تنفيذها. لكن نرى بأن هولندا ترفض التصويت، وغيرها من الدول الأوروبية، ضد المستوطنات. من جانب آخر، نرى بأن فرنسا على خلاف مع الولايات المتحدة في حل هذا النزاع. وهذه الفروقات في السياسات الخارجية للدول الأعضاء كل على حدة تضعف السياسة الخارجية الأوروبية المشتركة باتجاه القضايا الحساسة مثل الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي. وهذا بدوره يجعل الأطراف لا تثق بمدى قوة وتأثير الدور الأوروبي تجاه إيجاد تسوية ليس على الصعيد الفلسطيني-الإسرائيلي فقط بل على الصعيد الدولي أيضاً. فإذا قارنا صناعة القرار في الاتحاد الأوروبي بصناعة السياسة الخارجية للولايات المتحدة، نجد بأن الدور الأمريكي يكون فيه الرئيس الأمريكي المحرك الرئيسي، ويركز هذا الدور (الأمريكي) على قادة إقليميين ويؤثر بطريقة أكبر من الاتحاد الأوروبي أو أي دولة من دوله الأعضاء على حدة²⁵.

فمن القيود الواضحة على النشاطات السلمية الأوروبية تجاه الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي هو غياب الدليل على وحدة أوروبية بشكلها السياسي والثبات في المبادرات الأوروبية تجاه الشرق الأوسط. هناك مثالان على غياب الوحدة. هو عرض وزير

²⁴ الخالدي 2001، 128.

²⁵ Perthes 2000: 51.

الخارجية البريطاني Malcolm Rifkind في نوفمبر 1996 لإنشاء منتدى أكثر إقليمي للشرق الأوسط مثل "المنظمة الأوروبية للأمن والتعاون" (OSCE). والدليل أو المثال الآخر هو حجب الثقة الألمانية في 15 يوليو 1997 في الجمعية العامة للأمم المتحدة عن التصويت على قرار تشجب به إسرائيل وتنقدها للبناء في جبل أبو غنيم رغم أن 15 دولة أوروبية صوتت لصالح القرار²⁶.

يجب أن نأخذ أيضاً في عين الاعتبار بأن الاتحاد الأوروبي ليس موحدًا بالشكل المطلوب سياسياً. حيث إنَّ العلاقات في السياسية الخارجية بقيت بشكل كبير في حقل السيادة الوطنية والتعاون بين الحكومات، أما العلاقات الاقتصادية الخارجية أصبحت موضوع النظام الإجمالي والمؤسسي المتعدد القوميات للجماعات الأوروبية. النتيجة كانت بأن وسائل إجراءات صنع القرارات في سلوك الشؤون الخارجية التي جعلت الاتحاد عاملاً معقداً على وجه الخصوص في العلاقات الدولية، ومن الصعب التعامل معه لكل من هؤلاء المشاركين في العملية الداخلية وللمشاركين الدوليين في الاتحاد²⁷.

السياسة الخارجية والأمنية المشتركة (CFSP):

"في الاتحاد الأوروبي يجب بذل كل الجهود كي تكون مواقف بلدانه مشتركة بشكل حقيقي، إن ذلك لم يحدث في الحالة العراقية فهناك انقسام بين الدول في الاتحاد الأوروبي التي تملك حق الفيتو..... مؤسسات الاتحاد الأوروبي أساسية لكن الأكثر أهمية من الاختصاصات والصلاحيات الموجودة في المعاهدات هي الإرادة السياسية لبلدان الاتحاد

²⁶ Alpher: 199

²⁷ Monar 1998: 41.

الأوروبي يجعله يقوم بوظائفه.... وإنه لأمر أساسي أن تتوفر إرادة سياسية لدى البلدان الأكثر أهمية للعمل سوياً وبدون ذلك لا يمكن فعل إلا القليل. وكان يرون لي أن تخرج من قمة سالونيكاً تلك الإرادة في العمل سوياً وفي أن يكون الاتحاد الأوروبي لاعباً أساسياً في العالم".

خافيير سولانا²⁸

الهدف من عنوانه هذا القسم بالسياسة المشتركة ليس لسرد آليات العمل وصنع القرار بحد ذاته بل لتأكيد فكرة هذا القسم من هذا المبحث وهو أن السيادة الوطنية ما زالت هي الأساس في صناعة القرار الخارجي والسياسي داخل الدول الأعضاء في الاتحاد.

ففي هذه المؤسسة ما تزال الدول الأعضاء بإمكانها أن تعمل بشكل مستقل عن بعضها البعض. كما أن القرارات تؤخذ فيها بالإجماع وليس بالأغلبية المؤهلة. فهذه المؤسسة لم تمنح كفاءة أو قدرة قانونية تجاه الدول الأعضاء التي هي ذات سيادة بشكل كامل في مجال سياسة الأمن والخارجية المشتركة²⁹.

هذه السياسة المشتركة أنشأت فقط سلسلة من التعاون المؤسساتي والبنوي بين الدول الأعضاء. كما أن المجال الاقتصادي لا يسير على نفس الوثاق مع مجال أخذ القرارات في سياسة الأمن والخارجية الأوروبية المشتركة، فإن قاعدة الإجماع تنعكس بسلبية على أداء السياسة الخارجية المشتركة. فمثلاً لا يمكن التوقع من الاتحاد الأوروبي

²⁸ سولانا 2004: 12.

²⁹ Soetendorp 1999: 51.

أن يتعامل مع قضايا الشرق الأوسط وشركائه في هذه المنطقة كدولة قومية موحدة. حيث تتأثر القرارات في الاتحاد بالقيود داخل الاتحاد نفسه مما يؤثر على دوره تجاه عملية السلام التي تحتاج لأخذ مواقف ثابتة وصارمة. فالسيادة وقاعدة الإجماع في سياسة الأمن والخارجية الأوروبية المشتركة (CFSP)، تشكل عائقاً كبيراً أمام القيام بدور أوروبي قوي وفعال وموحد تجاه هذه القضية. كما أن سياسة الأمن والخارجية الأوروبية المشتركة (CFSP)، تتأثر بانتقال الرئاسة كل ستة شهور لدولة مختلفة من دول الاتحاد³⁰.

الجهود تجاه السياسة الخارجية والأمنية المشتركة لها شكل مميز حيث إن الدول الأوروبية الأعضاء تحاول تحقيق التقدم باتجاه الاتحاد الاقتصادي والنقدي _ وقد حققته _ إلا أن هذه الدول لم تحقق إلا خطوات صغيرة وقصيرة تجاه سياسة خارجية مشتركة. بالنسبة للموضوع الأمني، فإن القواعد الإجرائية للسياسة الخارجية والأمنية المشتركة لا تنطبق بشكل كبير في صناعة القرارات على الأمور الأمنية، حيث نرى بأن الاتحاد الأوروبي الغربي (WEU) وحلف الناتو الركيزتين المنظميتين والرئيسيتين التي يمكن من خلالها أن يتعاون الأعضاء وينظموا هذا التعاون فيما يتعلق بمجال الأمن³¹.

يقول سوتندروب (Soetendrop): إن السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي هي أكثر من كونها شيء ناتج عن السياسة الخارجية للدول الأعضاء. فإن التداخل بين الدول الأعضاء خلق تركيبة أوروبية لا تمثل أي دولة على حدة. كما أن هذه المؤسسة تلعب دوراً مهماً في تسهيل القضايا للموافقة عليها بين الأعضاء، وعندما يتخذ القرار يصبح

³⁰ Monar 1998: 40-41.

³¹ Soetendrop 1999: 70.

شبه إلزامي على كل دولة. لكن سياسة الأمن والخارجية الأوروبية المشتركة (CFSP) هي خارج المجال القضائي في معاهدة ماسترخت وبذلك هي ليست موضوعاً للمراجعات (القانونية) القضائية لمحكمة العدل الأوروبية³². لذلك القضايا التي لا يتفقوا عليها هي المهمة.

توصف موريل أسبيرغ السياسة الخارجية والأمنية المشتركة (CFSP) على أنها ليست سياسة مشتركة "common" ولكنها سياسة تنسيق "co-ordination policy"³³، هذا الوصف الدقيق يوضح الخلافات بين الدول الأوروبية الأعضاء عندما تأتي نقطة تنفيذ الخطوات الأوروبية تجاه عملية السلام في الشرق الأوسط والموقف من الدول المتصارعة. فهناك توجهات وطنية ومصالح وأولويات بين الدول الأعضاء حسب ما تراه من المناسب حسب وجهة نظر الدولة، وهذه الخلافات نلمسها في المؤسسات الدولية مثل قرارات مجلس الأمن والجمعية العمومية.

من ناحية أخرى نرى المشروع العسكري الأوروبي يتعرض لقيود مؤسساتية من داخل الاتحاد الأوروبي حيث إن التدخل العسكري الأوروبي يخضع لقاعدة الإجماع وكذلك لقرار على مستوى الاتحاد وكذلك الدولة القومية العضو. تأتي قيود أخرى من خلال مبدأ التنسيق مع حلف شمال الأطلسي (الناتو) بحيث لا يجب أن يتعارض ويتناقض استراتيجيا معه. فنرى أن قادة الإجماع أيضاً لعبت دوراً فاعلاً في الحرب على العراق عام 1991، حيث إن بريطانيا اعترضت على دبلوماسية أوروبية مشتركة في أزمة

³² Ibid: 154-155

³³ Asseburg 2004: 187.

الخليج هذه. وكذلك اعترضت على صدور أي موقف أوروبي مشترك لا يتماشى مع السياسة الأمريكية في فرض الحصار والعقوبات على العراق بعد هزيمتها. فقرار بريطانيا الفردي في الدخول إلى جانب الولايات المتحدة في ضرب العراق عام 1998، هذا لم يعتبر مخالفاً لقرار أوروبي سابق. حيث لم تجد مبادرة ماسترخت بعد الأدوات القانونية اللازمة لصياغة الموقف المشترك من المبادرات الفردية كالقرار الفردي البريطاني المذكور أعلاه، فالسياسة الخارجية الأوروبية المشتركة المنبثقة عن معاهدة ماسترخت تقع خارج الإجراءات القانونية التي هي من اختصاص محكمة عدل الجماعات الأوروبية³⁴.

فصناعة القرار في الاتحاد الأوروبي **تخضع لتعددية** وهي تأتي كحصىلة للمواقف ووجهات النظر المتعددة والتي تتأثر بنقاشات البرلمان الأوروبي بتياراته المختلفة³⁵. لذلك فإن بعض دول الاتحاد التي تشكل قوة كبيرة داخل هذا الاتحاد والتي تعامل أحياناً كمحاور مختلفة داخل الاتحاد الأوروبي لا تستطيع أن تأخذ موقفاً حاسماً تجاه عملية السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين، وهذا إما يعود لمصلحة هذه الدولة مع أحد الطرفين أو بسبب علاقة قد تكون من نوع "خاص" مثل ألمانيا وإسرائيل فألمانيا هي وريثة ألمانيا النازية وإسرائيل هي وريثة يهود أوروبا والرابطة الوحيدة من الشعور بعقدة الذنب عند الكثيرين من الشعب الأوروبي وخاصة الألماني³⁶.

³⁴ نهرا 2001: 257.

³⁵ المرجع السابق: 258.

³⁶ باومغرتن 1989: 14.

فألمانيا تقوم بدعم إسرائيل مادياً وعسكرياً وتساندها بشكل فعلي وملموس. من ناحية أخرى نرى بأن هولندا لا تريد أن تصوت ضد بناء المستوطنات التي تشكل عقبة في طريق السلام وغير قانونية أو شرعية وفق الاتحاد الأوروبي والأعراف والشرعية الدولية. فمن هنا لا أريد أن أطيل الحديث حول هذه النقطة؛ لأن ذلك يحتاج إلى بحث آخر يناقش التفاصيل حول المحاور المختلفة للاتحاد وقضايا الخلاف بين دول الاتحاد تجاه القضية الفلسطينية.

فالوحدة الأوروبية الناتجة عن معاهدة ماسترخت_ والتي تزامنت مع التقدم نحو السلام بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية_ واجهت وتواجه مشاكل بنيوية كان وما زال تذليلها خلال أعوام قليلة صعباً، وهذه المشاكل البنيوية داخل الاتحاد وأقصد هنا "الدولة القومية" انعكست بدورها على طبيعة الدور الأوروبي على أو في التأثير على مسار القضايا الدولية وخاصة التسوية في الشرق الأوسط وتحقيقها بعناصر أخرى غير القوة الاقتصادية³⁷.

هنا نلاحظ فرقاً واضحاً بين بلورة الاتحاد الأوروبي مبادئ فكرية ورؤى معينة تجاه الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، وبين قدرة الاتحاد على اتخاذ خطوات ملموسة على طريق تفعيل هذه الرؤى والأفكار. فهناك فرق بين ما يوجد في الإعلانات الرسمية للاتحاد الأوروبي وبين السياسة الفعلية التي تكون على الأرض، هذا كان واضحاً من خلال طرح البحث لموضوع تصدير منتجات المستوطنات الإسرائيلية إلى الاتحاد

³⁷ الأزهرى 1990: 7.

الأوروبي وموضوع المستوطنات نفسها بأنها غير شرعية حسب المواقف للاتحاد الأوروبي.

الاتحاد الأوروبي يشهد مرحلة انتقال بحيث لا تساعد على إدراج النتائج حول دوره المستقبلي ككينونة جغرافية سياسية في النظام العالمي، فالفرق بين الدافع الحقيقي لدمج المؤسسات وفشل الاتحاد بالقيام بعمل معين مثل ما حدث في أزمة البلقان والحرب ضد يوغسلافيا يضعنا بأن الطموحات والتطلعات الأوروبية تجاه أو العمل كهوية سياسية في الأمور الأمنية لم يرتبط بسلطة أو آليات التي تتطلبها قوة سياسية مستقلة. وهذا يجعل من الاتحاد الأوروبي ومن خلال الظروف المتضاربة في الشرق الأوسط بأن يسمح له أن يكون أكثر فعالية وتأثيراً في فترات السلام أكثر منه في فترات الصراعات والحروب³⁸.

الهيمنة الأمريكية:

طالما اتبعت الولايات المتحدة سياسة خارجية معتمدة على النظرية الواقعية بتحقيق أهدافها القومية عن طريق مد نفوذها في أرجاء العالم بأسره، وإذا عرفنا أن مصالح الدول في العالم غالباً ما تخضع لمبدأ التنافس المتبادل فإن أوضاع الحرب الباردة دفعت بالولايات المتحدة إلى فرض سياستها على دول الكتلة الغربية وعلى الدول التي تخشى من انضمامها إلى الكتلة المعادية وذلك بطرق متعددة ومختلفة. فتارة عن طريق الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري والدبلوماسي وغيره، وتارة عن طريق التهديد والإكراه.

³⁸ Salame 1994: 248.

لكن كما أسلفنا، فإنّ اتباع الولايات المتحدة لسياسة خارجية تعتمد على النظرية الواقعية جعلها تهتم بالجوانب العسكرية والسياسية أكثر من غيرها. لكن هذا لا يعني أنها أغفلت الجانب الاقتصادي أو قللت من أهميته أثناء الحرب الباردة. أما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانحصار تأثيره في العالم والشرق الأوسط فإن الولايات المتحدة أولت اهتمامها الاقتصادي بشكل أكبر لمناطق مجاورة لها مثل أمريكا اللاتينية وبما يتناسب مع عصر التكتلات الاقتصادية والتجارية.

هذا أعطى الفرصة لأوروبا التي كانت تسعى دائماً للعب دور أكبر في السياسة الدولية وخصوصاً في منطقة الشرق الأوسط ذات الموقع الحيوي بالنسبة لأوروبا، ولكن هذا لم يتوفر لها بشكل فعال إلا من خلال الجانب الاقتصادي وبما تسمح به القوة العظمى والأطراف الأكثر قوة في الصراع في الشرق الأوسط.

إن انهيار الكتلة الشرقية قد غيرت جغرافية العالم وديناميات العلاقات الدولية. ففي الشرق الأوسط، كما هو الحال في باقي العالم، فإن هذه الأحداث قد خلقت واقعية استراتيجية جغرافية جديدة التي قد غيرت بشكل جوهري توازن القوى في المنطقة، حيث غيرت هذه الواقعية علاقة دول المنطقة بالقوى الخارجية وشكل القوى داخل المنطقة³⁹. الولايات المتحدة هي المنتصرة في فترة التسعينيات وتريد أن تسيطر أكثر على مجرى الأحداث في الشرق الأوسط وعلى العملية السلمية بين الفلسطينيين وإسرائيل. وهي لها توجه معين في إدارة الصراع وكذلك السلام في شرق المتوسط يختلف عن التوجه الأوروبي، وهذا ناتج عن اختلاف المصالح بينهم.

³⁹ Marr 1994: 211.

اختلاف المصالح:

عملية السلام أعطت فرصة لأوروبا لدخول حلبة الصراع، لكن لديها رؤيا استراتيجية تختلف عن رؤيا ومصالح الولايات المتحدة الأساسية، فأحياناً ما تعتبره أوروبا أساسياً تعتبره الولايات المتحدة ثانوياً.

يقول كيتز (Katz): إن هناك صراعاً ثابتاً حول السيطرة على المنطقة بين دول أوروبا نفسها من جهة، وبين الولايات المتحدة والدول الأوروبية من جهة أخرى. فالشرق الأوسط يعتبر من قبل بعض الدول الأوروبية على أنه الفناء الخلفي لأوروبا. رغم بعد هذا الفناء قليلاً عن أوروبا، لكن مازال يضع تأثيراً ملموساً على الاقتصاد والمجتمع والسياسات الداخلية لأوروبا. لكن في دول أكثر من دول أخرى⁴⁰.

إن أهم المدخلات الواقعية لتحليل موضوعي العلاقات الأمريكية-الأوروبية على مستوى السياسات الدفاعية الأمنية وكذلك الأزمات في الشرق الأوسط ولاسيما الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، فلا بد وبالضرورة أن يرتكز هذا التحليل والطرح على تقييم كلا الطرفين الأمريكي والأوروبي - الاتحاد الأوروبي - لطبيعة المخاطر المرتقبة وآليات التعامل معها⁴¹.

رغم التقارب الواضح بالمصالح والقيم والمؤسسات بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، لكنهم يختلفون في مصالح وكذلك نظرتهم تجاه الشرق الأوسط - ولاسيما شرق حوض المتوسط - والصراع بداخله وما يمكن أن ينتجه هذا الصراع. فالإتحاد

⁴⁰ Katz 1999: 36.

⁴¹ عبد العظيم 002 : 123.

الأوروبي له بعد جغرافي-استراتيجي مع المنطقة التي تؤثر على أوروبا. فالاعتمادية والثقة مهمة لأوروبا في علاقتها مع دول حوض البحر المتوسط والتي تؤثر بشكل فعلي وملحوس على الدول التي تقع جنوب الاتحاد الأوروبي وليس على جنوب فلوريدا⁴².

منطقة الشرق الأوسط هي منطقة تمثل عمقاً استراتيجياً لحلف شمال الأطلسي التي تسيطر عليه الولايات المتحدة، من وجهة النظر الأمريكية وسياساتها الفعلية على أرض الواقع، يتبين بأن مسألة الصراع العربي _ الإسرائيلي ومسألة فلسطين هي أمور ثانوية بالنسبة للقضايا الأساسية وهي أمن الولايات المتحدة والدول الصناعية الغربية، وتأمين المصالح المتعلقة بتدفق النفط بالسعر والكمية التي تريدها الولايات المتحدة وزيادة وجودها ونفوذها العسكري والحصول على تسهيلات لقوات التدخل السريع في المنطقة العربية وخاصة دول الخليج العربي، وكذلك أمن إسرائيل وتفوقها الاقتصادي والعسكري في المنطقة هي قضية أساسية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية⁴³.

هناك مصادر للتنافس والتوتر في العلاقات الأوروبية _ الأمريكية. يقول كيتز (Katz): "ليس لدي أدنى شك بأن المصالح الاقتصادية المتضاربة بين الولايات المتحدة نراه ملموساً في توجهاتهم السياسية تجاه المنطقة"⁴⁴. فمن الناحية الاقتصادية، فإن الاتحاد الأوروبي تقدم كثيراً في مجال الاقتصاد والتجارة وأصبح الأقوى تجارياً من أي طرف على حدة، كما أن الميزان التجاري الأمريكي تعرض إلى عجز في 1986 في تعامله مع السوق الأوروبية بحوالي 25,2 بليون دولار أمريكي هذا من الناحية الاقتصادية، أما من

⁴² Marr 1994: 212.

⁴³ اليساوي 1999: 131-132.

⁴⁴ Katz 1999: 36.

الناحية السياسية والاستراتيجية فإن هذا المستوى أصبح مصدراً للتوتر والخلاف في العلاقات الأوروبية-الأمريكية وخاصة بعد انتهاء الحرب الباردة، فهناك تفرد أمريكي في السيطرة على شؤون السياسة الاستراتيجية لحلف الناتو. فالولايات المتحدة تريد لأوروبا أن تسير في توجهاتها الأمنية من خلال حلف الناتو والسيطرة الأمريكية وهذا ما تقابله أوروبا بالتذمر وعدم الشعور بالرضى والسعي لخلق هوية أوروبية مشتركة⁴⁵.

يطرح علوي بأن الخيار القائل بأن العلاقات الاقتصادية بين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي يمكن أن تتحول من الصراع الاقتصادي إلى صراع سياسي هو غير وارد من الناحية العملية. هذا يرجع إلى طبيعة العلاقات الرأسمالية بين الطرفين، فضلاً عن الدور التي تلعبه الشركات العملاقة التي تجمع الشركاء ولا تفرقهم. كذلك فإن الدخول في حرب تجارية لا تعود بالفائدة على أحد الطرفين، ويعود بالنفع على طرف ثالث مثل اليابان والصين وغيرهما⁴⁶.

وعودة إلى اختلاف الأهداف بين الدول، فرغم أن الولايات المتحدة وأوروبا يهدفان إلى خلق الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط إلا أنهم يتبعون استراتيجيات مختلفة تتبع من فهمهم لكيفية خلق الاستقرار وبما يتناسب مع كل منهم على حدة. فإن تبني النظرية الواقعية دفع بالولايات المتحدة إلى محاولة خلق الاستقرار عن طريق الحفاظ على الأمر الواقع وذلك بدعم وجود إسرائيل كدولة أكثر قوة من خصومها وبحكم علاقاتها الاستراتيجية مع الولايات المتحدة، أما بناء على النظريات الليبرالية والتي هي أكثر توافقاً

⁴⁵ علوي 1992: 118.

⁴⁶ المرجع السابق: 122-123.

مع السياسة الأوروبية بشكل عام ومشروع الشراكة المتوسطية بشكل خاص، فإن أوروبا تسعى لخلق الاستقرار عن طريق تغيير الأمر الواقع بدعم جميع الأطراف الأخرى؛ لتصبح متوازنة مع إسرائيل.

فمصلحة كل من الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة مختلفة. أولاً، نرى بأن أوروبا همها الوصول إلى سلام شامل بدوره يعزز الاستقرار في المنطقة الحيوية بالنسبة لها، فالاتحاد الأوروبي يهدف إلى إنجاز مشاريعه المستقبلية حيث تريد التحول من المستوى الثنائي للحوار إلى المستوى المتعدد الأطراف. هنا نطرق باب المتوسطية التي تُعتبر خطوة متقدمة في السياسة المتوسطية الجديدة والتي تريد مستوى متعدد الأطراف لحوض البحر المتوسط، حيث تكون أوروبا فيه المحور والمركز في هذا الإقليم. ثانياً، نرى بأن وجهة النظر الأمريكية ومصلحتها تتفق مع المصلحة الإسرائيلية في الرؤيا بأن تكون إسرائيل مركز ومحور الشرق الأوسط فيما يسمى "بالشرق أوسطية". الرؤيا الأولى (المتوسطية) تكون فيها تطبيع وتؤيد التطبيع ولكن ليس علة وجودها أما الثانية يكون فيها تطبيع وإجراؤه يعبر عن علة وجودها⁴⁷.

من جهة أخرى فإن عدم استقرار إقليمي يعتبر ويرى كخطر بالنسبة للاتحاد الأوروبي حتى لو لم ولن يؤثر على أمن إسرائيل أو تدفق البترول. فهناك علاقات اقتصادية واجتماعية بين أوروبا والشرق الأوسط ككل، فالمصالح التجارية أكثر قوة وأكثر تنوعاً من تلك التي تتمتع بها الولايات المتحدة. كما أن أوروبا أكثر انفتاحاً للمطالب

⁴⁷ حتى 1996: 94.

العربية من الولايات المتحدة التي يشكل فيها اللوبي المؤيد لإسرائيل قوة أكبر من أي لوبي آخر مثل لوبي النفط⁴⁸.

من هنا يظهر الخلاف في السياسة لكل من الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط بشكل عام والعملية السلمية بشكل خاص. ولكن الثانية هي المسيطرة وهذا بدوره يضعف من الدور الأوروبي؛ ليتفق مع الدور الأمريكي الإسرائيلي.

كما أن هناك اختلافاً بين الولايات المتحدة و الاتحاد الأوروبي تجاه لب الصراع العربي _ الإسرائيلي ومسألة فلسطين. الاتحاد الأوروبي كان دائماً يعتمد في إعلاناته على القانون الدولي تجاه الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. مؤخراً ووفقاً لإعلانات الاتحاد في Seville (يوليو 2002): رأى الاتحاد الأوروبي بأن الحل النهائي يجب أن يكون وفقاً أو مبنياً على الانسحاب من الأراضي التي احتلت عام 1967 وليس الإشارة إلى قرار 242 القابل للجدل والتأويل⁴⁹.

هذه النقطة لا تتفق فيها أوروبا مع الولايات المتحدة حيث إن الولايات المتحدة وعلى لسان وزير دفاعها دونالد رامسفيلد يعتبر الأراضي التي احتلت عام 1967 أنها مناطق متنازع عليها. كذلك يمتد الخلاف تجاه القدس الشرقية بين الاتحاد والولايات المتحدة والتي تعتبر هذه الأخيرة القدس وكما جاء على لسان جورج بوش إنها عاصمة لإسرائيل⁵⁰.

⁴⁸ Perthes 2000: 48-49.

⁴⁹ Asseburg 2004: 183.

⁵⁰ Ibid: 190-191.

إن دور الإتحاد الأوروبي يتناسب مع وضع و مواقف ضعف و قوة هذا الإتحاد على الساحة المحلية أي بين الدول الأعضاء وعلى الساحة الدولية المسيطر عليها من قبل قوة واحدة. وهذا الإتحاد يزداد دوره قوة بمدى تطور هذا الإتحاد، فمنطقة الشرق الأوسط التي هي من المناطق الحيوية بالنسبة له، مهمة أيضاً للقوة العظمى متمثلة بالولايات المتحدة. لذلك لن يكون دور الإتحاد الأوروبي بارزاً وهاماً بل سيحتوى من قبل الولايات المتحدة. رغم ذلك يطرق الإتحاد الأوروبي أبواباً عدة مثل الجوانب الاقتصادية وكذلك السياسية؛ لتحقيق أهدافه ورؤاه المستقبلية في منطقة مكملة لإقليم يضم دول الإتحاد.

هناك عدم توازن بنائي بين الولايات المتحدة والإتحاد الأوروبي تجاه الشرق الأوسط حيث إن أوروبا تعتمد على إمداد النفط والغاز من هذه المنطقة وتريد عدم إعاقة أو التأثير على مصادر الطاقة وسهولة طريقها أي وصولها إلى أوروبا. هذا يختلف عن الولايات المتحدة التي هي القوة العظمى الوحيدة في العالم، لذلك فإن توازن القوة يقع لصالحها وهي يمكن أن تأخذ الدور الرئيسي بالإكراه أكثر منه بالرضى لتحافظ على مصالحها. الولايات المتحدة تحدد أهدافها من خلال مصالحها وقيمها وتريد أن تخاطب كل التحديات الهائلة خارجياً. فالمعيار في تدخل الولايات المتحدة هو مصلحتها الذاتية⁵¹.

الانزعاج الأمريكي من أي دور أوروبي فعال:

الإتحاد الأوروبي قام بجهود اتجاه عملية السلام في الشرق الأوسط ليس فقط منذ انطلاق أوسلو، بل بعد أزمة النفط المترامنة مع حرب أكتوبر عام 1973. هذا يبين مدى

⁵¹ Marr 1994: 214-215.

حاجة أوروبا لهذه المنطقة اقتصادياً في البداية، لذلك كان لا بد لأوروبا من لعب دور في هذه المنطقة الحيوية، فلذلك سعت كل الدول الأعضاء لإيجاد تسوية فيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي. حيث بذلت السياسة الخارجية الأوروبية جهداً لعمل شيء لحل الصراع من اتجاه مستقل وتمييز نفسها عن اللاعب الرئيسي على هذه الساحة أي الولايات المتحدة الأمريكية وأطلقت المبادرة الأوروبية-المتوسطية. وتبين السياسة الخارجية الأوروبية كيف أن الدول الأعضاء في الجماعة سابقاً والاتحاد حالياً قد نجحت في تأسيس هوية أوروبية عالمية واضحة⁵².

قبل إعلان برشلونة لم يكن هناك مواقف أوروبية حازمة أو نشطة بالصورة الكافية تجاه المستويات السياسية والأمنية في منطقة حوض البحر المتوسط. فكانت أوروبا تركز أكثر على الجانب الاقتصادي. في هذا الإطار كانت هناك أصوات من داخل أوروبا بأن تكون أوروبا أكثر توازناً بين المستويات المختلفة الاقتصادية والسياسية. فجاء مؤتمر برشلونة وجاء إعلان برشلونة مركزاً على الجانب الاقتصادي ولكنه طرح بجدية برامج عمل وخطط وغايات أمنية وسياسية وثقافية واجتماعية. رغم ذلك فلا توجد علاقة سببية كما يقول آر. كيه. رامازاني بين هذه العوامل التي وردت في مؤتمر برشلونة (إعلان برشلونة) على الرغم من التركيز على العامل الاقتصادي. هذا التوجه الأوروبي برمته جاء مختلفاً في إعلان برشلونة عن النهج الأمريكي في التعامل مع المنطقة المتوسطية وكذلك في منطـة الشرق الأوسط ككل. فالجانب الأمريكي يركز الجوانب العسكرية والسياسية أكثر من الجوانب الأخرى الاقتصادية والثقافية والاجتماعية. يطرح مثلاً

⁵² Soetendrop 1999: 93.

رامازاني ليبين التوجه والنهج الأمريكي بشكل أكبر في المنطقة، فصفقات السلاح بين إيران والولايات المتحدة كانت أحد أسباب الثورة الإيرانية. فالولايات المتحدة جعلت من نظام الشاه كشرطي أمريكي في منطقة الخليج يخدم المصالح الأمريكية ومستفيدة منه ماديا وأغفلت الإصلاح السياسي في إيران وكذلك التنمية الاقتصادية⁵³.

يقول حتي: "انسم بيان برشلونة بصياغة مرنة لمبادئ عامة وشاملة تسمح لكل طرف باللجوء إلى التفسير الذي يريده، وغابت الأفكار المحددة التي عادة تحمل قوالب جاهزة تؤدي إلى إخراج أطراف وإخراج أطراف أخرى"⁵⁴. هذا يجعل من الولايات المتحدة أقوى في التصدي لأي دور أوروبي فعال ونشط سياسياً.

لا تخفي الولايات المتحدة انزعاجها من كل دور أوروبي في الصراع العربي الإسرائيلي والشرق الأوسط بشكل عام، وهي تريد هذا الدور أن يأتي من خلالها وتحت سقفها، فالولايات المتحدة تعتبر أي دور أوروبي مستقل يربكها ويهدد تماسك التحالف الغربي وكذلك يهدد التناغم في موقف حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة بسبب الدعم الأوروبي⁵⁵.

رغم أن حوض المتوسط يشكل فضاء حيويًا لأوروبا، إلا أن الولايات المتحدة تحد من أي دور في عملية التسوية في الشرق الأوسط وأرادت الولايات المتحدة محاصرة هذا الدور وجعل المشاركة الأوروبية شكلية كما حدث في مؤتمر مدريد، وعارضت الولايات المتحدة مشاركة أوروبا في مجموعة العمل الخاصة بالأمن وضبط التسليح المنبثقة عن

⁵³ رامازاني: 21-22

⁵⁴ حتي 1996: 99.

⁵⁵ حتي 1997: 9-10.

المفاوضات المتعددة الأطراف. فلو حدث ضبط للتسلح كما تريده أوروبا في الشرق الأوسط؛ فإن ذلك سيضر بصفقات السلاح التي تبيعها واشنطن لدول المنطقة. من ناحية أخرى، فقد انزعجت الولايات المتحدة من التحرك الأوروبي إبان مذبحة قانا سنة 1996، حيث اتسم الموقف الأمريكي بالحدة والسلبية تجاه التحرك الفرنسي للتوسط⁵⁶.

كذلك عندما قامت أوروبا بنشاط كبير في صيف عام 1995 تجاه عملية التسوية والذي جاء متوازياً للنشاط الأمريكي، فنجحت الولايات المتحدة بعدم إشراكها في قمة واشنطن حيث لم تدع أوروبا لها. وهذا سببه أن تجعل من القمة لقاء شكلياً مراسيمياً وبعيداً عن الفعل وهذا لا يرضي أوروبا. تدافع الولايات المتحدة عن موقفها هذا تجاه مشاركة أوروبا بأن "كثرة الطباخين تفسد الطبخة"، وهي بذلك تريد منع أوروبا من بلورة موقع هام لها في الشرق الأوسط⁵⁷.

على الصعيد السياسي، فإن هناك تطلعات تهدف إلى زيادة دور الاتحاد الأوروبي في الشؤون الدولية وكذلك في الشرق الأوسط وشرق المتوسط، وهذا الأمر تقف في وجهه وتعيقه الولايات المتحدة؛ لتحول دون تحقيقه⁵⁸. فالولايات المتحدة تريد إشعار أوروبا بأن المواقف الأوروبية يجب أن لا تؤثر على السياسة الخارجية للولايات المتحدة والتي تتفهم القلق الأوروبي من الهيمنة الأمريكية على الأدوار في الشرق الأوسط والعملية السلمية والتأثير على موازين القوى في العالم كما حدث مع العراق مؤخراً⁵⁹.

⁵⁶ المرجع السابق: 10.

⁵⁷ المرجع السابق: 10.

⁵⁸ نجيب 1997: 136.

⁵⁹ رفعت 2002: 6.

الولايات المتحدة ترفض أي دور منافس لها في منطقة الشرق الأوسط وهذا المبدأ تسير عليه الإدارة الأمريكية منذ فترة ترومان وأيزنهاور، وتعتبر الولايات المتحدة هذه المنطقة بأنها منطقة أمن قومي أمريكي⁶⁰. ومن أجل تحقيق هذا الأمن في هذه المنطقة، تتبع الولايات المتحدة سياسة تقوم على عدم تحويل المنطقة إلى منطقة نفوذ لأي قوة أخرى _ مثل أوروبا _ يمكن أن تهدد مصالحها السياسية والاقتصادية والعسكرية. ومن هذا المنطلق تسعى الولايات المتحدة للمحافظة على استقرار المنطقة بوضعها الحالي ومنع حدوث تغيرات لمصلحة أي طرف آخر عربي أو أجنبي⁶¹.

الاتحاد الأوروبي لم يستطع أن يكون قادراً للعب دور مستقل كما هو الحال بالنسبة لسياسات الولايات المتحدة في المنطقة وتجاه عملية التسوية. عدم وجود دور أوروبي مستقل هو أحد الأهداف الأمريكية في المنطقة. الذي قبلته أوروبا هو الدور المكمل للدور الأمريكي في المنطقة وبذلك لا يكون الدور الأوروبي فعالاً إذا ما تناقض مع الدور الأمريكي كقوة عظمى في المنطقة⁶².

التحالف وأهمية إسرائيل:

إسرائيل تشكل أهم أولويات الولايات المتحدة في علاقتها مع شرق المتوسط والصراع العربي الإسرائيلي، فهي تريد التفوق الدائم لإسرائيل على دول الشرق الأوسط في جميع المجالات وخاصة العسكري والاقتصادي.

⁶⁰ بورسون: 133-134.

⁶¹ شريح 2000: 131.

⁶² Asseburg 2004: 187.

فالولايات المتحدة ومنذ الساعات الأولى لإعلان دولة إسرائيل دعمت إسرائيل وجعلتها من أهم أولوياتها في الشرق الأوسط والحفاظ على هذه الدولة وتفوقها العسكري وخاصة بعد حرب حزيران 1967. وهذا ما يؤكد كل مرشح أمريكي للرئاسة⁶³. هذا يختلف إلى حد ما مع الرؤية الأوروبية للأمن في إقليم حوض البحر المتوسط فرغم الالتزام الأوروبي تجاه بقاء وتفوق إسرائيل إلا أن أوروبا تعطي اهتماماً أكبر للاستقرار السياسي من الولايات المتحدة التي تعطي اهتمام أكبر للقوة العسكرية⁶⁴.

أي أمر يتعلق بإسرائيل يعتبر من وجهة نظر أمريكية موضوعاً ومصلاً أساسية بالنسبة للولايات المتحدة. فهي تعطي هذا الاهتمام من خلال وجهة النظر الإسرائيلية حتى لو كان هذا يرتد بالسلب على الاستقرار في إسرائيل والمنطقة. فإسرائيل لها أهمية استراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة والتي تتماشى مع التوجه الأمريكي الذي يختلف عنه الأوروبيون، فإسرائيل هي قاعدة انطلاق مثالية بالنسبة للقوات الأمريكية وما تحتاجه من تجهيزات وصيانة، ويمكن أن تعتمد الولايات المتحدة على إسرائيل كقوة ردع وهذا ما تؤكد إبان حرب الخليج الثانية⁶⁵.

هذا التوجه الأمريكي يؤثر بالسلب على المفاوضات بين إسرائيل والأطراف العربية كوسيط له دور هام في تحقيق السلام والأمن اللذين يشكلان طموحاً أوروبياً في المنطقة. فنرى بأن الدور الأمريكي في المفاوضات العربية-الإسرائيلية بشكل عام والفلسطينية-الإسرائيلية بشكل خاص متقارب إلى حد بعيد مع الموقف والرؤى الإسرائيلية

⁶³ شلبي 2000: 30-33.

⁶⁴ رامازاني: 11.

⁶⁵ محمود 1999: 207.

لدور الوسيط، ونرى هذا التقارب فيما يتعلق بلب الصراع وهو احتلال الأرض، وحقوق الإنسان، والمقاطعة العربية لإسرائيل، والقدس والمستوطنات. هذه المواقف لا تتقاطع مع مواقف الاتحاد الأوروبي الذي يريد تنفيذ قرارات مجلس الأمن.

أوروبا خلقت اتجاهها مستقلاً عن الولايات المتحدة اتجاه هذا الصراع باتجاهات مختلفة، لكن لم تتمتع بهذه الاستقلالية فيما يتعلق بجوهر المشكلة وحلها. جوهر المشكلة هو الاحتلال الإسرائيلي لأراضٍ عربية وعدم شرعية هذا الاحتلال وفق القرارات الدولية، لكن كانت اتفاقية أوسلو فرصة لهذا الدور الأوروبي حيث قامت أوروبا بدعم السلطة الفلسطينية وساعدت بشكل كبير في بناء الأجهزة الأمنية للسلطة ودفع رواتبها. وتعاملت مع السلطة كدولة عندما وقعت معها اتفاقية الشراكة مثلها مثل إسرائيل ودول الجوار. ولزيادة التدخل السياسي من قبل الاتحاد الأوروبي في عملية السلام، عينت الدول الأعضاء مبعوثاً خاصاً (موراتينوس) السفير الأسباني السابق لدى إسرائيل في المنطقة. الغرض من ذلك تعزيز دور الاتحاد الأوروبي مستغلاً القوة السياسية للاتحاد الأوروبي التي اكتسبها من خلال المساعدات المالية والاقتصادية السخية للمنطقة وعلى رأسها إسرائيل. لكن هذا الحضور لم يمنع الولايات المتحدة من دور القيادة في المنطقة والعملية السلمية ودورها الحاسم في المفاوضات بين الطرفين.

من خلال الواقعية الديمقراطية كما قالت مورييل أسبيرغ، يطرح آر كيه رامازاني

سؤالاً: ما دلالات إطار برشلونة بالنسبة للعلاقات الأوروبية-المتوسطية في ضوء نظريات العلاقات الدولية وتطبيقاتها؟ فبالنسبة للواقعيين الكلاسيكيين فإن إطار برشلونة لا

يعول عليه برؤيته المعتمدة على التعاون والديمقراطية واقتصاد السوق الحرة. فالصراع هو الأساس في علاقات الدول فيما بينها. لذلك فإن الدول الضعيفة والفقيرة لن تستفيد من هذا الإطار. فالافتراضات الواردة أعلاه كالديمقراطية والتعاون والسوق الحرة لا تعتبر افتراضات واقعية. فدول حوض المتوسط تتميز بحكم الفرد باستثناء الديمقراطية المتحfre في تركيا والمفتنة في إسرائيل والديمقراطية الجنين في الضفة الغربية و قطاع غزة⁶⁶.

الرفض الإسرائيلي:

يقول Dascal Marcelo وهو أستاذ الفلسفة في جامعة تل أبيب: "أنا أعرف بأن السفير موراتينوس والجماعة الأوروبية يفعلون الكثير من أجل مساعدتنا في هذه المنطقة من أجل جلب وتحقيق السلام. لكنني لا أعتقد بأن أوروبا تصنع لنا معروفاً بقيامها بذلك⁶⁷."

هذا المبحث يناقش المحور الثالث في هذا الفصل للقيود التي تأتي على الاتحاد الأوروبي في عملية التسوية. هذا المحور هو خارجي وتكمن أهميته بأن أحد طرفي الصراع والذي يتحالف مع القوة العظمى في المنطقة والعالم. فإسرائيل كأحد طرفي الصرع ترفض أي دور وسيط فعال للاتحاد الأوروبي. تعتمد إسرائيل في ذلك على الدعم الأمريكي كوسيط وحليف. فإسرائيل تريد أن تحقق عدة أهداف في آن واحد وهو أن تحافظ على هذا الدعم الأمريكي و تغيب أوروبا عن حلبة الصراع كوسيط فعال وعدم تقديم تنازلات للجانب العربي بما يتناسب مع الشرعية الدولية.

⁶⁶ رامازاني: 28-29.

⁶⁷ Dascal 1999: 10.

التقارب الإسرائيلي-الأمريكي تجاه الدور الأوروبي:

الولايات المتحدة وأوروبا تظهر بينهم المنافسة في تسوية الصراع العربي-الإسرائيلي. فالولايات المتحدة أرادت وما زالت تريد أن تمسك بكل خيوط التسوية بيدها وهي قد نجحت بإبعاد روسيا الاتحادية وكذلك في إبعاد أوروبا التي مازالت تبحث عن دور أكثر فاعلية، لذلك الولايات المتحدة عازمة على إبعاد الاتحاد الأوروبي عن لعب دور فاعل في هذه التسوية.

هذا التوجه تشاطره إسرائيل والذي عبر عنه جويل سنجر (كبير المفاوضين الإسرائيليين في إتفاقيات أوسلو) خلال مؤتمر أيباك المنعقد في الفترة الواقعة بين 23-25 أيار/مايو 1999، فعندما سئل سنجر عن الدور الأوروبي في التسوية قال: "نفسه لسؤال نسمعه منهم، أيضاً، الأوروبيون ليس لهم دور _وهنا ضجت القاعة بالتصفيق_ لا إسرائيل ولا أميركا سيتركان لهم القيام بدور.... دائماً كانوا يشكون بأنهم فقط يكتبون الشيكات، والرد عليهم هذا هو دوركم"⁶⁸. هذا تقارب أمريكي-إسرائيلي في التفكير بإبعاد أي وساطة أوروبية. فالولايات المتحدة لا تضغط على إسرائيل وإن ضغطت على إسرائيل فهذا يكون تكتيكياً وليس استراتيجياً وهذا ما كان واضحاً في عهد نتنياهو⁶⁹.

يذكر **وليم كوانت الذي كان يشغل منصب مدير قسم الشرق الأوسط في المجلس**

القومي الأمريكي عام 1997، بأن الاعتماد على إسرائيل من قبل الولايات المتحدة هو بمثابة التنبؤ بربع قرن قادم، أما التعامل مع الدول العربية فهو سياسة اللحظة الواحدة.

⁶⁸ شريح 2000: 129.

⁶⁹ دريك 2000: 150.

ويضيف كوانت بقوله: إنَّ الولايات المتحدة لا تدعم إسرائيل؛ لأن 2% من شعبها يهودا، بل تتفق كل هذا الدعم الاقتصادي والسياسي والعسكري لإسرائيل؛ لأنها حليف وفي⁷⁰. إسرائيل مهمة بالنسبة للولايات المتحدة والعكس صحيح، وهذا ما تستغله إسرائيل لجعل الولايات المتحدة وسيطا لمصالح إسرائيل في المنطقة بحيث لا يقودها إلى أي تنازلات حتى لو كان مقابل تنازل آخر من قبل الجانب العربي أو الفلسطيني، لذلك لا تريد إسرائيل إدخال دور خارج نطاق سيطرتها مثل الاتحاد الأوروبي، ليس لأن هذا الأخير يقف ضد مصالح إسرائيل بل لأنه ليس مسخرا أحيانا لخدمة إسرائيل. هذا الطرح تؤكد عليه بيسيوني بالقول: "العلاقة الأمريكية الإسرائيلية هي بلا سابقة في التاريخ، حيث يتمكن التابع من إملاء رغباته وتحديد شروطه على المتبوع، وحيث يسعى الطرف الأقوى إلى خطب ود الطرف الأضعف والانصياع لرغباته والاستجابة لمطالبه مهما تعارضت مع مصالحه العليا"⁷¹.

لم تسمح الولايات المتحدة وإسرائيل لأوروبا بلعب أي دور سياسي، حتى يتمكنوا من فرض التسوية التي يريدونها، واكتفت الولايات المتحدة بإعطاء أوروبا دور الممول للمساعدات والمشروعات الاقتصادية⁷².

إسرائيل لا تريد شريكا آخر غير الولايات المتحدة بأن يكون له دور فعال في الوساطة بينها وبين الفلسطينيين. هذا الدعم الأمريكي والرضى المطلق من قبل إسرائيل تجاه الدور الأمريكي يثير الفضول لدى القارئ، وستكون المعلومات والمعرفة منقوصة إذا

⁷⁰ أوسيبوف 1985: 13.

⁷¹ بيسيوني 1985: 47.

⁷² حبيب 1997: 124.

افتراضنا بأن المصلحة بين الولايات المتحدة وإسرائيل هي مصلحة فقط في السياسة الخارجية في الشرق الأوسط والعالم. فكما نعرف فإن المصلحة غير ثابتة في التحالفات، فصديق اليوم يمكن أن يكون عدو الغد. هل لو حقق العرب المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط، فستتجه الولايات المتحدة إلى دعم الدول العربية على حساب إسرائيل. كل هذه التساؤلات مشروعة، لكن هناك لإسرائيل أدوات ليس فقط في سياستها الخارجية تجاه الولايات المتحدة لجلب الأخيرة إلى صفها بل هناك أدوات للسياسة الخارجية لإسرائيل داخل الولايات المتحدة. تتلخص هذه الأدوات في اللوبي الموالي لإسرائيل داخل الولايات المتحدة.

اللوبي الموالي لإسرائيل:

هذا اللوبي الموالي لإسرائيل يلعب دوراً هاماً في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط بشكل عام والصراع العربي-الإسرائيلي بشكل خاص. لهذا اللوبي تأثير في صنع القرار الأمريكي تجاه الشرق الأوسط. فهذا اللوبي لديه مشاركة عالية المستوى على المستوى السياسي في الولايات المتحدة. وهو يمول الحزب الديمقراطي بأغلبية الأموال الذي يتلقاها هذا الحزب، و 25% من الأموال التي يتلقاها الحزب الجمهوري هي من اليهود أيضاً⁷³.

هناك حسب وصف الغمري جيش منظم - قاصد لجنة الأيباك American Israel Public Affairs Committee - جاهز للتحرك للدعاية الانتخابية و التمويل للمرشح الأمريكي الذي يلتزم بدفع الثمن بعد فوزه⁷⁴.

⁷³ منصور 1996: 300.

⁷⁴ الغمري 2001: 49.

كما أشرنا فإن المشاركة السياسية لليهود تمتد من البنثاغون إلى السفراء. هذا من جانب، ومن جانب آخر نرى بأن الرؤساء للمجلس القومي للأمن المتعلق بشؤون الأوسط عادة ما يشغله أفراد مؤيدون لإسرائيل. فنرى بأن إليوت برامز الذي أصبح رئيساً لهذا المجلس لديه علاقات حميمة مع حزب الليكود الإسرائيلي وهو معارض لاتفاقيات أوسلو بين إسرائيل والفلسطينيين. كما أن مصلحة وأمن إسرائيل عادة ما تكون هي الأجندة الأولى للإدارات الأمريكية وهذا ما يحققه صانعو القرار اليهود وخاصة هؤلاء الموالون لإسرائيل⁷⁵.

نرى هنا بأن اللوبي الموالي لإسرائيل يجني ثماره بطريقة مباشرة عن طريق أفراد وكذلك عن طريق الموالين له من صناع القرار في الولايات المتحدة. وهذا نلاحظه وبشكل واضح من اليمين المسيحي (المحافظين الجدد) والذي لا يحافظ فقط على الأهمية القصوى لإسرائيل بل يعزز من الدعم لها.

بالإضافة إلى ما ذكر أعلاه فإن البعد المجتمعي أو الاجتماعي داخل الولايات المتحدة يلعب دوراً في دعم اليهود داخلياً ودعماً لمن يتعاطفون معه هؤلاء اليهود، وأقصد هنا إسرائيل. فهناك روابط وثيقة لليهود على مستوى المجتمع الأمريكي⁷⁶.

التباعد الإسرائيلي الأوروبي:

يشعر بعض الأوروبيون بأن إسرائيل من الأكيد إنها تعارض أي دور أوروبي فعال وبارز في عملية التسوية؛ لأنها ترى بأن الأوروبيين متحيزين للفلسطينيين، حيث إن

⁷⁵ Nonneman 2003: 35.

⁷⁶ الشورجي 1996: 112.

بعض الحكومات الأوروبية بينت امتعاضها من توجه السياسة الإسرائيلية لبناء مستوطنات جديدة في الضفة الغربية المحتلة.

رد الفعل الإسرائيلي دائماً سلبي من الخطوط العريضة للاتحاد الأوروبي، وتعتبره متحيزاً للعرب والفلسطينيين وذلك؛ لأن المواقف الأوروبية مبنية على قرارات مجلس الأمن المتعلقة بالصراع، وهذا يعتبر من وجهة النظر الإسرائيلية أيضاً تحيزاً للعرب. وهذه الخطوط العريضة الأوروبية تصطدم بالموقف الإسرائيلي وهذا جاسب لإسرائيل يشجع العرب على التصليب تجاه إسرائيل. وهذا التوجه الأوروبي تستخدمه إسرائيل للحد من الدور الأوروبي وتحديدًا في المجالات السياسية والأمنية.

المواقف الأوروبية تتجسد في إعلانات رسمية أهمها إعلان البندقية 1980 وأمستردام 1997. الأول أكد على حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وموقف سلبي من بناء المستوطنات والثاني أيد قيام دولة فلسطينية⁷⁷. وهذا زاد من رغبة إسرائيل في إبعاد أوروبا عن حلبة الصراع. لذلك ترى إسرائيل لا يمكن أن تثق في الأوروبيين، وهم لا يريدون أن يضعوا قدرهم في يد أحد سواء أوروبا أو أمريكا لكن الأخيرة تقع في الجانب الأفضل من المعادلة.

من نقاط الخلاف مع أوروبا التي تريد تحقيق تسوية عادلة وشاملة، إن إسرائيل لا تريد تقديم تنازلات للفلسطينيين. إسرائيل لم تختلف في عهد حكوماتها من رابين حتى

⁷⁷ دريك 2000: 144.

باراك عن "لاءات" رابين في 1992: لا للعودة لحدود ما قبل 1967، لا للتخلي عن السيطرة على الحدود الخارجية، ولا شراكة في القدس بين شرقية وغربية.

إسرائيل تريد أن تكون هي المسيطرة على المناطق الفلسطينية ولا تريد التواصل الجغرافي لهذه المناطق، فمثلاً هناك طريق غزة - الخليل فلماذا هناك طريق غزة-رام الله حيث إن الخليل تتصل جغرافياً برام الله⁷⁸. هذا يمكن أن يكون أكثر وضوحاً مع مشكلة الجدار الفاصل في عام 2002.

ينظر الإسرائيليون إلى الدور الأوروبي في الماضي والحاضر والمستقبل وهذا يشمل جميع الأحزاب الإسرائيلية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار بأنهم يتبنون نفس التوجه اتجاه الدور الأمريكي في عملية السلام. فهناك إجماع في المجتمع السياسي الإسرائيلي ولكنه سلبياً اتجاه أو فيما يتعلق بمشاركة أوروبا سياسياً في عملية السلام⁷⁹. فهم ينظرون إلى أوروبا بأن ليس لها مواقف مستقلة عن مواقف دول الاتحاد، حيث تخشى إسرائيل مثلاً من تأثير فرنسا على السياسة الأوروبية حيث إن الأولى تميل باتجاه العرب حسب وجهة النظر الإسرائيلية. كما أن الولايات المتحدة لا تريد لأوروبا أن تلعب دوراً رئيسياً في صراع فيه حليفها الاستراتيجي الرئيسي في المنطقة. كما أن إسرائيل ترى بأن أوروبا تؤيد العرب وهذا يتضح من خلال التصويت في الأمم المتحدة على عكس أمريكا التي تقف عادة إلى جانب إسرائيل. ترى إسرائيل بأن أوروبا تهتم بالقضايا الاقتصادية والإقليمية دون تقدير القلق والاهتمام الأمني بالنسبة لإسرائيل مثل الولايات

⁷⁹ Alpher: 193.

⁷⁸ المرجع السابق: 147.

المتحدة. من جانب آخر نادراً ما تتصرف أوروبا كقوة عظمى؛ لأنها غير متحدة بما يسمح لها أن تكون كذلك.

هناك خلاف بين الرؤية الإسرائيلية والأوروبية في تحقيق الاستقرار. فترى أوروبا أن حل المسألة السياسية سيقود إلى تعاون اقتصادي وكذلك إلى تحقيق الاستقرار. بينما يرى (شمعون بيريز) في كتابه شرق أوسط جديد بأنه رسم هو وحزب العمل برنامجاً خاصاً بشرق أوسط جديد يقوم على التعاون الاقتصادي أولاً يتلوه تفهم سياسي متواصل إلى حين الاستقرار⁸⁰.

كما أن إسرائيل تختلف في طريقة تعاملها مع المقاومة الفلسطينية عن النظرة الأوروبية وإن كانتا غير بعيدتين إلى حد بعيد. فأوروبا ترى بأن سبب ما تسميه "الإرهاب" هو ناتج عن الفقر وكذلك الاحتلال، فزوال الاحتلال وتحسين الظروف المعيشية هذا بدوره يحقق الاستقرار. هذا التوجه الأوروبي نراه من خلال الاتصالات التي تقوم بها أوروبا مع بعض الحركات المقاومة الفلسطينية والعربية والتي يطلق عليها "إرهابية". فمثلاً رغم إعلان الاتحاد الأوروبي الجناح السياسي لحماس بأنه منظمة إرهابية، إلا أن مسؤولين أوروبيين في دولهم وكذلك داخل الاتحاد يقومون باتصالات مع بعض قادة حماس مثل (خالد مشعل) مدير المكتب السياسي لحركة حماس⁸¹.

بينما يرى بيريز بأن "الإرهاب" ليس سببه الفقر، بل سببه الأصولية الإسلامية

التي تغذي "الإرهاب"، وهو يرى بأنه ليس الفقر هو الذي يجلب "الإرهاب" بل "الإرهاب"

⁸⁰ بيريز 1994: 14.

⁸¹ (قطر: قناة الجزيرة 2003، الخميس: أخبار اليوم 2003/12/25).

هو الذي يجلب الفقر، ويعطي مقارنة بين الظروف المعيشية للفلسطينيين في خلال انتفاضة الأقصى والفترة التي سبقتها⁸².

تستغل إسرائيل مجموعة الخلافات التي تقع بين الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي وتتخذ من ذلك ذريعة من أجل منع القيام بدور أوروبي وسيط يساعد الدور الأمريكي في المنطقة وخاصة في عملية السلام. فترى إسرائيل أن سياسية الاتحاد الأوروبي عادة ما تتمثل من خلال فرنسا والتي تنتظر إليها على أنها مناصرة للعرب ضد إسرائيل.

استغرب من كتاب عديدين عندما يضعون فرنسا في موضوع نقاش كهذا. فرنسا لم تكن في يوم من الأيام مناصرة للعرب ضد إسرائيل بل في النصف الثاني من القرن العشرين نرى بأن فرنسا كانت من أكثر الداعمين لدولة إسرائيل وبنت لإسرائيل المفاعل النووي في ديمونا، لكن فرنسا تريد تنفيذ اتفاقيات السلام التي وقعت عليها إسرائيل وتنفيذ وإن لم يكن بشكل كامل_ القرارات الشرعية الدولية، فعند الحديث عن فرنسا لا يجب إظهار الموقف الفرنسي كما يظهره Joseph Alpher⁸³ وهو عندما وبخ الرئيس الفرنسي كما يطرحه الكاتب الكنيسة الإسرائيلي في 1996 فهل موقف كهذا يغير من مستقبل علاقة مبنية على الأفضلية لإسرائيل ومنذ نشأتها على حساب فرنسا وغيرها من الدول الغربية.

⁸² (أبو ظبي: قناة العربية: 10\15\2003).

⁸³ Alpher: 199-201.

لكن لا أحد يطرح بأن إسرائيل تتعنت وتتجبح بسبب الدعم المطلق من قبل الولايات المتحدة، والاتحاد الأوروبي ومعظم دول العالم تنذر من دور الوسيط الأمريكي الذي هو ليس وسيطاً بل متحيز بشكل علني وسري لإسرائيل. فنرى الموقف الأمريكي في فترة الرئيس الأسبق بنيامين نتنياهو عندما وعد بتعطيل وعدم تنفيذ عملية السلام والأسلوب الذي استخدمه في قمع الانتفاضة الفلسطينية ضد افتتاح نفق حول ساحة المسجد الأقصى.

فأي دولة لا تسير مع إسرائيل بهذه الطريقة تكون متحيزة للعرب وأحياناً أخرى تكون ضد السامية.

إسرائيل تتكرر أي دور أوروبي هام في العملية السلمية؛ لأن إسرائيل تقول بأن المفاوضات يجب أن تكون بين الأطراف المعنية دون تدخل أجنبي معتمدة في ذلك على الولايات المتحدة التي تتفق معها في وجهة النظر هذه. ووفقاً لهذه الظروف كما يقول Soetenderp فإنه على الاتحاد الأوروبي أن يحدد دوره في العملية السلمية؛ ليكون مسهلاً بدلاً من وسيط، ويجب أن يكمل الجهد الدبلوماسي الأمريكي وألا يدخل في منافسة معه، حيث إن الاعتراف أو القبول الأمريكي به كممول أكبر للعملية السلمية ساعد الاتحاد على لعب دور في العملية السلمية، وإعطائه دوراً بأهمية وثقل متزايد⁸⁴.

من هنا يظهر Soetenderp خصائص الدور الأوروبي في الصراع وعملية السلام في الشرق الأوسط. هذا الدور يتميز بدعمه الاقتصادي لعملية السلام والذي من المفترض أن يكون له شأن في المستقبل. لكن في الماضي القريب والوقت الحاضر لم

⁸⁴ Soetendorp 1999: 112-113.

يرق هذا الدور إلى الحد المطلوب بما يتناسب مع قوة هذا الاتحاد الاقتصادية ومدى حيوية هذه المنطقة بالنسبة للاتحاد الأوروبي والتي تشكل حجر الأساس للاستقرار في منطقة حوض البحر المتوسط.

أوروبا بالعادة تظهر قلقها اتجاه أزمة الشرق الأوسط خاصة بين الفلسطينيين والإسرائيليين. لذلك تقوم بأخذ خطوات حيال هذه الأزمة. لكن أوروبا أيضاً عادة ما تصطدم بعقبات يستعصي كسرهما وهي ما أشرنا إليها سابقاً: السيادة الوطنية وهيمنة الولايات المتحدة بالإضافة إلى إسرائيل ورفضها لتدخل سياسي أوروبي نشط. فأوروبا تريد أن تخلق اتجاهها مستقلاً على الساحة الدولية. فمثلاً أوروبا أرادت أن تأخذ على عاتقها مبادرة مع بداية الثمانينيات؛ لتقوم بدور في عملية السلام، فواجهت مهمة المجموعة الأوروبية لتقصي الحقائق عقبات عدة أهمها رفض إسرائيلي مطلق في التعاون مع المبادرة خارج "اتفاقيات كامب ديفيد"⁸⁵. وهذا التعتن الإسرائيلي يقابل برضى وتأييد أمريكي.

إسرائيل كانت ترفض أن تقوم أوروبا بأي دور في العملية السلمية أواخر الثمانينيات، لذلك قررت أوروبا للحوار مع إسرائيل قبل الحوار مع منظمة التحرير لمراعاة حساسية الرأي العام الإسرائيلي، كما أن إسرائيل رفضت أن تستقبل البعثة الثلاثية الأوروبية مجتمعة بل استقبلتهم كلا على حدة⁸⁶.

⁸⁵ أبو خلف 1989: 12.

⁸⁶ المرجع السابق: 23.

بالنسبة للموقف الإسرائيلي، فإن الاتحاد الأوروبي لن يكون الوسيط الرئيس مثل دور الولايات المتحدة في الصراع العربي- الإسرائيلي. إذن فإن هذا الدور هو من نصيب الولايات المتحدة أو لا أحد. رغم ذلك فإن الاتحاد الأوروبي ليس مثل الماضي فبعد اتفاقية الشراكة المتوسطية وتعيين موراتينوس فإنه على إسرائيل التعايش مع دور أوروبي من نوع جديد. لكن هذا الدور ما يزال ضعيفاً وليس له تأثير إذا ما قورن بالدور الأمريكي في إدارة الأزمة الذي يُشعر إسرائيل بالرضى.

من هذا كله يتضح بأنه من مصلحة إسرائيل أن تكون الولايات المتحدة هي الوسيط الرئيس وليس أوروبا، وستسعى دائماً لتحافظ على هذا الوضع بكل وسائلها الممكنة (مثل اللوبي الموالي لإسرائيل في الولايات المتحدة). ومن المهم ذكره هنا بأنه لا يوجد مثل هذا اللوبي القوي الذي يسمح به الدستور الأمريكي والذي يحقق أهداف إسرائيل عن طريق الضغط على صناع القرار الأمريكيين في أوروبا مثل الولايات المتحدة. لذلك ستعيق إسرائيل أي دور أوروبي سياسي فعال في الصراع العربي- الإسرائيلي بشكل عام، والصراع الفلسطيني- الإسرائيلي بشكل خاص.

خلاصة:

إن النظرة إلى الاتحاد الأوروبي وعلاقته بعملية السلام في الشرق الأوسط تثير الكثير من التناقضات والشكوك؛ وذلك بسبب طبيعة وموقع الاتحاد الأوروبي في النظام الدولي وكذلك طبيعته الداخلية. فالإتحاد يقع أسير طبيعته التي هي بالأساس اقتصادية وعلى الصعيد السياسي لا يستطيع أن يأخذ مواقف حاسمة تدخل في إطار التنفيذ في الصراع في الشرق الأوسط بسبب الخلافات السياسية بين الدول الكبرى في الاتحاد مثل بريطانيا التي تمثل أحياناً السفير الأمريكي في الاتحاد وأحياناً أخرى في العالم. هذا من جهة، ومن جهة أخرى الخصوصية التي تتمتع بها إسرائيل مع القطب الواحد الذي يتزعم السياسة في المنطقة، وهذا القطب يسير خلف قرارات داخلية تؤثر فيها جماعات الضغط المتمثلة باللوبي الموالي لإسرائيل وجماعات تؤيد هذا اللوبي.

أتى الاتحاد الأوروبي إلى المنطقة للعب دور فعال اقتصادي عن طريق مساعداته المادية واستثماراته في كل من إسرائيل ومناطق السلطة الفلسطينية. أعتقد الأوروبيون بأن هذا الدور الاقتصادي أي المساعدات المادية سوف تقود الطرفين؛ لتعزيز الديمقراطية والسلام، وكذلك تحسين مستوى المعيشة في المناطق الفلسطينية والتي بدورها ستساعد في تحقيق الأمن. بالإضافة إلى ذلك، أعتقد الأوروبيون بأن الازدهار وإذا ما تحقق سوف يساعد كلا الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني للاعتراف ببعضهم البعض وتقبل مواقف بعضهم البعض بعقل متفتح. إن هذه الأمور يمكن أن تساعد في تحقيق بعض الأمور، وتسهيل بعض التشنجات، لكنها لا تعتبر كمحرك أو دافع رئيسي في حل الصراع بين

الطرفين كالصراع بين العرب والفلسطينيين من جهة، وإسرائيل من جهة أخرى، فإن القوة العسكرية والسياسية وتوزيع القوة والتحالفات تلعب دورا رئيسيا لجلب الحرب أو السلام في المنطقة؛ لذلك فشل الأوروبيون في تحقيق السلام مع نهاية القرن الماضي.

إن قوة الاتحاد الأوروبي هي بالأساس قوة اقتصادية وليس سياسية أو عسكرية. في نفس الوقت فإن الاتحاد الأوروبي ليس القوة الاقتصادية الوحيدة أو الرئيسية والتي يمكن من خلال العناصر الاقتصادية والعقوبات الاقتصادية التي يمكن أن تستخدمها لتنفيذ برامج السلام. إن القوة العظمى في العالم تدعم إسرائيل في جميع المجالات ومنها الاقتصاد و المال.

الخاتمة:

من خلال التوجه الأوروبي نحو إقليم البحر المتوسط، نجد بأن هذا يعكس بطريقة أو بأخرى الطبيعة التي تم من خلالها تطور مسيرة الوحدة الأوروبية منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين. فالاتحاد الأوروبي بدأ مسيرته نحو الوحدة الاقتصادية بناءً على النظرية الوظيفية والتي تقوم على الفصل بين الجوانب السياسية والجوانب الوظيفية التي تقوم حركة الاندماج الوظيفي والتحرك نحو الاندماج الاقتصادي والفني¹.

لكن هذه الفكرة تم نقدها، حيث لا يمكن الفصل بين الجوانب الاقتصادية والسياسية في التحرك نحو التعاون والتكامل. هذه الفكرة يؤكد عليها المنظر في الوظيفية الجديدة إرنست هاس حيث يقول: "إن التفرقة بين الأمور السياسية والأمور الفنية، أو بين رجل السياسة والخبير الفني هي مسألة غير قائمة؛ لأن الأمور الفنية عادة ما تصبح كذلك نتيجة لقرار سياسي سابق"².

هذا التوجه نلمسه بشكل واضح من خلال التوجه الأوروبي نحو المتوسط ونحو حل الصراعات في الشرق الأوسط، حيث إن أوروبا تربط بين المستويات الاقتصادية والسياسية. فالاندماج على المستوى الاقتصادي والتي تسعى أوروبا نحوه في إقليم المتوسط سيكون بمثابة "مشروع تيار" يمكن أن ينتشر ويشمل المجالات الأخرى كالمجال

السياسي.

² Hass 1964: 23.

مثل هذه التوجهات لها بداية ولكن ليس لها نهاية واضحة المعالم، لذلك من الصعب الحكم عليها من خلال وقت قصير. فهي تهدف إلى إيجاد مؤسسات تتعدى المفهوم الضيق للدولة القومية ومصالحها الضيقة، من أجل تحقيق مصالح أوسع ومنافع أكبر من خلال توجه جماعي وليس فردي. هذا هو التوجه الأوروبي الظاهري والقابل للتحليل الموضوعي.

هذا التوجه الذي يتناسب مع التحليل على مستوى الاتحاد الأوروبي، لكنه أيضا يبدو مناسباً للنظر من خلاله للتعامل مع حوض المتوسط. وهذا عن طريق استخدام القوة غير التقليدية من جانب أوروبا اتجاه تحقيق الاستقرار والسلام والديمقراطية، والمحافظة على المصالح الاقتصادية والسياسية. هذا التوجه يختلف عن السياق التاريخي للدول الأوروبية في التعامل مع الشرق الأوسط. لكن أيضاً يمكن أن نأخذه من وجهة نظر أخرى وهو أن أوروبا تستخدم ما يمكن أن نسميه بالقوة المدنية (soft or civil power)، وهو أن الاتحاد الأوروبي يستخدم القوة التي يمكن من خلالها أن يحقق مصداقية مقابل القوى الأخرى، وبالتالي تحقيق الأهداف بالطريقة التي تتناسب أكثر مع واقعه وقدراته والقدرة على استخدام هذه القدرات لتحقيق الأهداف.

نلاحظ بأن الواقع الأوروبي والدولي يجعل من أوروبا فاعلاً غير تقليدي في

توجهه من أجل تحقيق مصالحه في إقليم المتوسط. لذلك نجد أن نظريات مثل الليبرالية و الليبرالية الجديدة يجب أخذها في الحسبان عند التعامل مع التوجه الأوروبي من خلال الشراكة الأوروبية-المتوسطية مع دول إقليم المتوسط. وهذه النظريات قد تستطيع تفسير

المفهوم الذي تحمله الشراكة وهو مفهوم "الشريك" الذي لا ينطبق على الأطراف غير الأوروبية في الشراكة كالأردن والسلطة الفلسطينية. فأوروبا تستخدم نفوذها من خلال قوتها الاقتصادية كأداة للجذب والضغط على الأطراف المختلفة من أجل تحقيق الأهداف الأوروبية سياسية كانت أم اقتصادية.

هذه الأهداف لم تتحقق تجاه الصراع في الشرق الأوسط بين الفلسطينيين وإسرائيل. يمكن القول بأنه من خلال عدم القدرة على الحكم على هذا التوجه الأوروبي في فترة قصيرة، فلا يمكن استخدام مصطلح الفشل؛ للتوجه الأوروبي لحل الصراع في الفترة موضع البحث. لكن هذا لا يمنع من التفحص والتمعن للأسباب التي تقف وراء عدم تحقيق الأهداف المرجوة. فأوروبا تتوجه من خلال المؤسسات تجاه المتوسط، وطبيعة المؤسسات كما يقول كيوهاني هي التي تحكم سلوك الدول تجاه الطريق نحو التعاون³. وهذه المؤسسات الأوروبية لم تكن قوية بما فيه الكفاية من أجل المراقبة و فرض العقوبات على الشركاء، وهذا لأن الدولة هي صاحبة القرار السياسي في أوروبا والقرار السياسي كما يقول هاس أعلاه بأنه السبب لأي نتيجة. فأوروبا لم تحقق وحدة سياسية مقارنة بالاقتصاد. وهنا نعود لما تطرحه النظرية الوظيفية وهو الفصل بين الاقتصاد والسياسة، لكن هذا ليس نظرياً بالنسبة للاتحاد الأوروبي بل واقع ملموس.

تقع أوروبا فريسة الفجوة بين مواقفها الرسمية والقدرة على تحقيق هذه المواقف. هذا في كثير من الأحيان يزعزع من هيبة وأهمية أوروبا لصالح الولايات المتحدة وهو ما

³ Keohane 1989: 9.

تريد تحقيقه الأخيرة وحليفاتها إسرائيل؛ لتثبت دائماً بأنها اللاعب الرئيس الذي لا يمكن الاستغناء عنه في الشرق الأوسط، وهذا إن لم يكن بالرضى فسيكون بالإجبار والتهديد.

أوروبا دائماً تريد التقدم بالعملية السلمية، لكنها مقيدة بدور الوسيط التي تسيطر عليه الولايات المتحدة. لكن الولايات المتحدة لا تلعب دور الوسيط الذي يمكن لأوروبا الاستفادة منه والتكامل معه. فالولايات المتحدة لا تلعب دور الوسيط بالمعنى المفاهيمي لمصطلح وسيط كما يطرحه ديكسون والذي الهدف منه هو جلب الأطراف لطاولة المفاوضات من أجل تحقيق اتفاق وحل الأزمات⁴. فالولايات المتحدة تلعب دور الشريك في الصراع، وهذا لأنها تتدخل في المنطقة استراتيجياً من أجل تحقيق مصالحها وأهدافها القومية والمحافظة على مصالح الحلفاء كإسرائيل، ودون الانتباه لمصالح الآخرين. هذا يتعارض مع السلام العادل والشامل كما تطرحه أوروبا في بياناتها من أواخر الستينات حتى يومنا هذا. فالولايات المتحدة هي أكثر تماثلاً مع السياسة الإسرائيلية، وهذا يلغي مركزها الوسيط، ويعزز من وضعها على أنها طرف في الصراع وليس وسيط لإقامة السلام.

إذا ما حاولت أوروبا لعب دور الوسيط ما لبثت أن تقع فريسة لطبيعتها على المستوى السياسي وارتباطه بالعلاقات الخارجية وعلى المستوى الدولي وتوازن القوة في اللاسلطة الدولية.

هذه النقطة تثير فكرة بحثية هامة، وهو أن الاتحاد الأوروبي في توجهه نحو إقليم البحر المتوسط والصراع في الشرق الأوسط تنتقل الباحث أو القارئ إلى الربط بين هذا

⁴ Dixon 2000: 263.

التوجه والعلاقات على المستوى الدولي. الولايات المتحدة هي المسيطرة على المستوى الدولي، لذلك القوى الأخرى ستسعى؛ لتحقيق نوع من التوازن على المستوى الدولي للقوة بشقيها السياسي و الاقتصادي. فالقوى الأخرى إذا ما ملكت القدرة والرغبة في استخدام هذه القدرة، فهي تريد تحقيق توازن قوة على المستوى الدولي لذلك يمكن أن تحقق وحدة أو تحالفاً مع أطراف أخرى.

يقول والتز: إنَّ النظام الدولي أحادي القطبية، هو نظام سوف يتجه إلى الاستقرار أي الوصول إلى توازن قوى والآن لا يوجد هذا الاستقرار، لذلك يمكن أن تؤخذ الأورومتوسطية كمببر للسعي للتغيير على المستوى الدولي لكنها لا تعتبر كآلية لهذا التغيير نحو الاستقرار في النظام الدولي.

هذه النقطة يمكن أن تكون محل سؤال لبحث جديد حول العلاقة التي تربط الاتحاد

الأوروبي بالعالم بشكل عام، وبالشرق الأوسط وحوض المتوسط بشكل خاص.

المراجع

قائمة المراجع باللغة العربية:

أولاً: الكتب:

أبو خلف، نايف، 1989. المجموعة الأوروبية والمؤتمر الدولي للسلام في الشرق الأوسط. القدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية (PASSIA).

بومغرتن، هيلغي، 1989. جمهورية ألمانيا الاتحادية والفلسطينيون والشرق الأوسط. القدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية (PASSIA).

بيريز، شمعون. 1994: الشرق الأوسط الجديد، ط1، ترجمة شوكت يوسف، دمشق: دار دمشق.

حبيب، هاني، 2003. الشراكة الأوروبية-المتوسطية مالها وما عليها: وجهة نظر عربية. دمشق: الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع. ط2.

حتي، ناصيف 1985: النظرية في العلاقات الدولية، بيروت: دار الكتاب العربي.

الشليبي، جمال، 2000. العرب وأوروبا: رؤية سياسية معاصرة. بيروت: مؤسسة العربية للدراسات والنشر.

كمال، محمد مصطفى، و نهرا، فؤاد، 2001. صنع القرار في الاتحاد الأوروبي والعلاقات العربية-الأوروبية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

كميل، منصور، 1996. الولايات المتحدة و إسرائيل: العروة الأوثق. ط1، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

عباس، قاسم خضر، 1996: مصداقية النظام الدولي الجديد، بيروت: دار الأضواء.
العيساوي، شاكر 1999: قراءة في الوضع العربي والدولي، ط1، دمشق وبيروت: المنارة.

الغمري، عاطف 2001: الأمريكي النائه في الشرق الأوسط، ط1 القاهرة مكتبة الشروق.

كنفاني، نعمان، 2000. علاقة فلسطين بالاتحاد الأوروبي: الإطار الحالي _ العلاقة المستقبلية. القدس ورام الله: ماس.

مصطفى، نادية، 1999. حالة الأمة العربية: المؤتمر القومي العربي الثامن: الوثائق. القرارات. البيانات. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

منصور، كميل. 1996 الولايات المتحدة وإسرائيل: العروة الأوثق، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

ثانيا: الدوريات:

أبو طالب، حسن. 1994: نموذج لتنظيم التعاون عبر الأقاليم، (السياسة الدولية، مج 30، ع 118)، 63-65.

أحمد، محمد سيد. أبريل 1996: التباين والتكامل حول البحر الأبيض المتوسط، (السياسة الدولية، مج 32، ع 124)، 88-94.

الأزهري، محمد خالد. شباط 1990: *محددات المبادرة الأوروبية تجاه القضية الفلسطينية (1967-1989)*، (شؤون فلسطينية، ع 203)، 75-50.

الأطرش، محمد، آب/أغسطس 1996. *المشروعان الأوسطي والمتوسطي والوطن العربي*، (المستقبل العربي، مج 19، ع 210)، 29-4.

الأطرش، محمد، أيلول/سبتمبر 2001. *حول التوحد الاقتصادي العربي والشراكة الأوروبية المتوسطية*، (المستقبل العربي، مج 24، ع 271)، 94-79.

بيريز، شمعون، 10\15\2003، *قناة العربية (أبو ظبي)*

حبيب، جوزيف. تشرين أول، تشرين ثاني، كانون أول 1997. *الرؤية الأوروبية لقضية القدس*، (صامد الاقتصادي، مج 19، ع 110)، ص 136-112.

حتى، ناصيف. 1996. *مستقبل العلاقات العربية الأوروبية بين الشرق أوسطية والمتوسطية*. (المستقبل العربي، مج 18، ع 205)، 117-87.

حتى، ناصيف. 1997. *حدود الدور الأوروبي ودوره في عملية التسوية في الشرق الأوسط*. (المستقبل العربي، مج 19، ع 215)، 21-4.

حتى، ناصيف 2000: *الشراكة الأوروبية المتوسطية*.

<http://www.mersinfo.com/makhzoumy/hitti.html>

الخالدي، جميل. ابريل، مايو، يونيو 2001. *الاتحاد الأوروبي ومنتجات المستوطنات*، (مجلة مركز التخطيط الفلسطيني، مج 1، ع 2) 129-124.

رامازاني، آر. كيه. *الشراكة الأوروبية المتوسطية: إطار برشلونة*، (دراسات عالمية، ع 22)، أبوظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

رفعت، سعيد. شتاء 2002. *التصور الأمريكي الجديد للمنطقة وموقع العرب فيه*، (شؤون عربية، ع 112)، 6-12.

_____ فبراير 2001: *الهيمنة الأمريكية وأوروبا*، الإمارات: مركز زايد للتنسيق والمتابعة.

الدسوقي، مراد إبراهيم. 1994. *القضايا الاستراتيجية والأمنية في البحر المتوسط*، (السياسة الدولية، مج 30، ع 118)، 84-91.

دريك، لارا. حزيران 2000. *مستقبل الدولة الفلسطينية والعملية السلمية في الرؤية الإسرائيلية*، (صامد الاقتصادي، مج 22، ع 120)، 143-152.

ديفلبال، دومينيك، 17 يناير 2004، *قناة الجزيرة (من قطر)*، برنامج "لقاء خاص".
سولانا، خافيير. (الخميس 2003/6/26). *يجب بذل المزيد من الجهود لتطبيق خارطة الطريق*، (الأيام، مجلد 8، عدد 2667)، ص 12.

شلبي، السيد أمين. ربيع 2002. *هل حققت الولايات المتحدة مصالحها في الشرق الأوسط؟* (شؤون عربية، ع 104)، 24-36.

شريح، أسمهان. كانون الثاني-آذار 2000. *التنافس الأمريكي الأوروبي ومستقبل التسوية السياسية*، (صامد الاقتصادي، مج 22، ع 119)، 126-144.

عبد العظيم، خالد. يناير 2002. *حدود التحالف وأبعاد الانقسام في العلاقات الأوروبية - الأمريكية*، (السياسة الدولية، ع 147)، 123-127.

- علوي، مصطفى. يناير 1990. *الولايات المتحدة والجماعة الأوروبية بعد 1992*، (السياسة الدولية، مج 26، ع 99)، 117-125.
- فاينفلد، فيرنر. *التحولات في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا: التحديات والاحتمالات أمام أوروبا وشركائها*، (دراسات عالمية، ع 17)، أبو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.
- الفاصد، أريان. شتاء 1998. *التدخل الأوروبي في فلسطين: أهو سياسي أم مالي؟* (السياسة الفلسطينية، مج 5، ع 10)، 30-50.
- محمود، محمد مصطفى. مارس/آذار 1999. *الوطن العربي والولايات المتحدة الأمريكية*، (شؤون عربية، ع 97)، 204-207.
- الشوربجي، منار. أكتوبر 1996. *أدوات السياسة الخارجية الإسرائيلية داخل أمريكا*، (السياسة الدولية، مج 32، ع 126)، 109-113.
- كرزم، جورج خريف 1999. *علاقة المانحين التمويلية والمنظمات غير الحكومية: شراكة أم تبعية؟*، (السياسة الفلسطينية، مج 6، ع 24)، 103-106.
- مشعل، خالد، 2003/12/25. *قناة الجزيرة (من قطر). برنامج "بلا حدود"*
- النواني، نرمين. أكتوبر 2000. *الاتحاد الأوروبي والشرق الأوسط*، (السياسة الدولية، مج 36، ع 142)، 105-114.
- نجيب، نجلاء محمد يناير 1997. *مستقبل العلاقات بين الولايات والاتحاد الأوروبي*، (السياسة الدولية، مج 33، ع 127)، 136-142.

هنسون، بني. 1994. ترجمة: منال الشوربجي. **الاتحاد الأوروبي والبحر المتوسط: حلقة نقاش**. (السياسة الدولية، مج 30، ع 118)، 99-104.

والث، ستيفن. يوليو 1998. ترجمة منير كمال. **العلاقات الدولية: عالم واحد نظريات عدة**، (الثقافة العالمية، ع 89)، ص 7-21.

Alpher, Joseph. *The Political Role of the EU in the Middle East: Israeli Aspirations*.

Aliboni, Roberto (14-15 December 2000). PROSPERITY, SECURITY, DEMOCRACY IN THE EU PERCEPTIONS TOWARDS THE MEDITERRANEAN. Lisbon: the Instituto de Estudos Estratégicos e Internacionais-IEEI, Fundação Calouste Gulbenkian.

Internet: <<http://www.ciaonet.org/wps/air12/air12.pdf>>

Asmus, Ronald D./ Pollack Kenneth M. (22 July 2003). Washington Post. "The Neoliberal Take on the Middle East".

<<http://www.brook.edu/pritme.wbs?page=/pagedefs/4f5b0214e14eff3c34407abe0a1415cb.xml>>

Asseburg, Muriel (July 2003). *From Declarations to Implementation?* In: Ortega, Martin (ed.). *Chaillot Papers*, "The European Union and the Crisis in the Middle East". Paris: Institute for Security Studies.

Asseburg, Muriel (July 2004). *The EU and the Middle East Conflict: Tackling the Main Obstacle to Euro-Mediterranean Partnership*. In: Junemann, Annette (ed), 2004. *Euro-Mediterranean Relations After September 11: International, Regional and Domestic Dynamics*. London/ Portland: Frank Cass.

Asseburg, Muriel/ Perthes, Volker, eds. 1998. *Surviving the Stalemate: Approaches to Strengthening the Palestinian Entity*. Baden-Baden: Momos Verlagsgesellschaft.

Baldwin, David A. (ed.). *Neorealism and Neoliberalism: the Contemporary Debate*. New York: Columbia Press.

- Baumgarten, Helga 1998. *The Palestinian Political System: Changes for More Participation*. In: Asseburg, Muriel/ Perthes, Volker, eds. 1998. *Surviving the Stalemate: Approaches to Strengthening the Palestinian Entity*. Baden-Baden: Momos Verlagsgesellschaft.
- Berherndt, Sven/ Hanelt, Christain-Peter, eds. 2000. *Bound to Cooperate- Europe and the Middle East*. Güterslob, Bertelsmann Foundation Publishers.
- Brown, L. Carl 1984. *International Politics and the Middle East: Old Rules, Dangerous Games*. London: I.B. Tauris.
- Buzan, Barry et alii 1998. *Security: a New Framework for Analysis*. Blouder: Lynne Rienner Publishers. Inc.
- Dascal, Marcelo 1999. *Opening Remarks*. In: Heller, Mark A. (ed.). *Europe and the Middle East: New Tracks to peace?*. Talaviv (International Conference): Jaffee Center for Strategic Studies- Friedrich- Ebert- Stiftung.
- Dixon, Martin 2000. *Textbook on: International Law*. London: Blackstone Press Limited.
- Erdman, Richard 1999. *Europe and the Middle East Peace Process: An American Perspective*. . In: Heller, Mark A. (ed.). *Europe and the Middle East: New Tracks to peace?*. Talaviv (International Conference): Jaffee Center for Strategic Studies- Friedrich- Ebert- Stiftung.
- Fenech, Dominic 1997. *The Relevance of European Security Structures to the Mediterranean (and Vice Versa)*. In: Gillespie, Richard (ed.) 1997. *The Euro- Mediterranean Partnership: Political and Economic Perspectives*. London. Portland: Frank Cass.
- Grieco, Joseph M. 1993. *Anarchy and the Limits of Cooperation: A Realist Critique of the Newist Liberal Institutionalism*. In:

- Baldwin, David A. (Hrsg.). *Neorealism and Neoliberalism: the Contemporary Debate*. New York: Columbia University Press.
- Griffiths, Martin 1999. *Fifty Key Thinkers in International Relations*. London & New York: Routledge.
- Hass, Ernst B. 1964. *Beyond the Nation-State: Functionalism and International Organization*. Stanford, CA: Stradford University Press.
- Hollis, Rosemary 2000. *Barcelona's First Pillar: An Appropriate Concept for Security Relations*. In: Seven Behrendt 2000. *Bound to Cooperate- Europe and the Middle East*. Guterslob: Bertelsmann Foundation Publishers.
- Katz, Yossi 1999. *European Union and the Middle East Peace Process*. In: Heller, Mark A. (ed.). *Europe and the Middle East: New Tracks to peace?*. Talaviv (International Conference): Jaffee Center for Strategic Studies- Friedrich- Ebert- Stiftung.
- Keohane, Robert O./ Joseph S. Nye, Jr. 1989. *Power and Iterdependence*. 2nd ed. Glenview, Ill.: Scott, Foresman/ Little, Brown.
- Lispon, Charles 1984. *World Politics* 37. "International Cooperation in Economic and Security Affairs". pp. 1-23.
- Marr, Phebe (Spring 1994). *The Middle East Journal*, "The United States, Europe , and the Middle East: An Uneasy Triangle". Vol. 48, no. 2, pp. 211-225.
- Monar, Jörg 2000. *Institutional Constraints of the European Union's Middle Eastern and North African Policy*. (Mediterranean Politics, vol. 3, No. 2), 39-60.
- Moratinos, Miguel 1999. *Europe and the Middle East Peace Process*. In: Heller, Mark A. (ed.). *Europe and the Middle East: New Tracks to peace?*. Talaviv (International Conference): Jaffee Center for Strategic Studies- Friedrich- Ebert- Stiftung.

- Morgenthau, Hans J. 1973. *Politics among Nations*. 5th edition. New York: Alfred A. Knopf.
- Nonneman, Gerd (July 2003). *A European View of the US Role in the Israeli- Palestinian Conflict*. In: Ortega, Martin (ed.). *Chaillot Papers*, "The European Union and the Crisis in the Middle East". Paris: Institute for Security Studies.
- Perter, Jeol 2000. *Europe and the Arab_ Israeli Peace Process: the Declaration of the European Council of Berlin and Beyond*. In: S. Behnendt and C. Hanett(eds). *Bound to Cooperate: Europe and the Middle East*. Guterdoh: Bertelsmann Foundation.
- Perthes. Volker (April/June 2000). *The International Spectator*. "The Advantages of Complementarity: US and European Policies Towards the Middle East Peace Process." Vol. xxxv, No.2, pp. 41-55.
- Salame', Ghassan (Spring 1994). *The Middle East Journal*, "Torn between the Atlantic and the Mediterranean: Europe and the Middle East in the Post-Cold War Era". Vol. 48, no. 2, pp. 226-249.
- Soetendrop. Ben 1999. *Foreign Policy in the European Union: Theory, History, and Practice*. New York: Pearson Education Inc.
- Stein, Janice Gross 1993. *The Security Dilemma in the Middle East: A Prognosis for the Decade Ahead*. In: Korany, Bahbat et alii (eds). *The Many Faces of National Security in the Arab World*. Houndmills: Macmillan.
- Steinberg, Gerald M. (winter 1996). *Mediterranean Quartely*, "European Union and the Middle East Peace Process". Vol. 7, no. 1, pp. 65-80.

- Stetter, Stephan 2004. *Democratization Without Democracy? The Assistance of European Union for Democratization Processes in Palestine*. In: Junemann, Annette (ed), 2004. *Euro-Mediterranean Relations After September 11: International, Regional and Domestic Dynamics*. London/ Portland: Frank Cass.
- Telhami, Shibley 1990. *Power and Leadership in International Bargaining: the Path to the Camp David Accords*. New York: Columbia University Press.
- Viotti, Paul R./ Kauppi, Mark V. 1993. *International Relations Theory: Realism Pluralism, Globalism*. 2nd edition. New York: Macmillan.
- Waltz, Kenneth N. (Summer 2000). *International Security. "Structural Realism After the Cold War"*. Vol. 25, no. 1, pp. 5-41.
- Weidenfeld, Werner et alii 1997. *Transformation in the Middle East and North Africa: Challenge and Potentials for Europe and its Partners*. Qütersloh: Bertelsmann Foundation Publishers.
- Weidenfeld, Werner (ed.) 1995. *Europe and the Middle East*. Qütersloh: Bertelsmann Foundation Publishers.
- Williams, Phil et alii (eds.) 1994. *Classic Readings of International Relations*. California: Wadsworth Publishings Company.
- Winrow, Gareth M. 1996. *Mediterranean Politics, A Threat from the South? NATO and the Mediterranean*. Vol. 1, no. 1, pp. 43-59.
- Zaafrane, Hafedh/ Mahjoub, Azzem (Spring 2000). *Mediterranean Politics, "Economic Change: the Euro- Mediterranean Free Trade Zone: Challenge and Social Impact on the Countries of the South and East Mediterranean"*. Vol. 5, no. 1, pp. 9-32.

Zakaria, Fareed (winter 1993). *The National Interest* 30. "***Is Realism Finished***". pp. 21- 32.

Zopel, Christoph 1999. *Europe and the Middle East Peace Process*.
In: Heller, Mark A. (ed.). *Europe and the Middle East: New
Tracks to peace?*. Talaviv (International Conference): Jaffee
Center for Strategic Studies- Friedrich- Ebert- Stiftung.

European Declarations on the Middle East:

Declaration by the Presidency on Behalf of the European Union:
Brussels, 13 October 2000.

http://europa.eu.int/comm/external_relations/mepp/decl/#10

Presidency Conclusion: Venice European Council, 12-13 June 1980.

http://europa.eu.int/comm/external_relations/mepp/decl/#10

Berlin Declaration, 1 December 1999.

http://europa.eu.int/comm/external_relations/mepp/decl/#10